روايات عبير

آن ميثر

مازلنا غرباء

www.mlazna.com
مرمورية

روايات عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. 173

www.mlazna.com

مازلنا غرباء

لم تعد تطيق الانتظار. كان عليها ان تلتحق بخطيبها في احدى القرى الجبلية النائية حيث يعمل. والبلد: البرازيل، بحرارتها التي تخترق الجلد والأعصاب وعواطفها المتأججة كالمناخ الاستوائي. عندما تصل دومينيك الى نهاية رحلتها تكتشف أخيراً لماذا كانت مترددة في سرّها، غير مستقرة على حال، لا تعرف حقاً اذا كانت عرفت معنى الحب.

فتنتها الواضحة تجذب اليها فنسانتي سانتوس الرجل الناري النظرات وربّ عمل خطيبها. أملاكه بلا حدود ومطالبه لا ترد. ولكنه يريدها من أجل شيء آخر. هناك سر دفين تفوح منه رائحة الانتقام، وشرك تخطو فيه بكل براءة وعيناها مغمضتان...

لبنان ١٢ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ١٢ ل.س.	الامارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠ د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200

www.mlazna.com مرمورية

www.maktabeh.com
مكتبة

١ - في بلاد اخرى...

كان مطار غاليو الدولي، كجميع المطارات الدولية، بارداً، مزدحماً، فاقد الهوية. وكانت دومينيك تجلس في مقهى المطار، تحتسي كوباً من الشراب وتفكر انها يمكن ان تكون في أي مكان آخر في العالم لولا اللكنة البرتغالية السائدة وسواد بشرة الرجال الذين تجمعوا حولها، مأخوذين على ما يبدو بجدائل شعرها الفضي وعينيها الاسكندنافيتين الزرقاوين.

ونظرت مرة ثانية الى ساعة يدها وهي تتأوه وتتساءل الى متى سيدوم انتظارها. فالرسالة التي تسلمتها عند وصولها لم تكن واضحة كل الوضوح. كل ما جاء فيها ان جان سيتأخر في الوصول الى المطار لطارىء مفاجىء، وعليها ان تنتظره هناك.

واشعلت سيكارة وهي ترمق الشاب الذي كان يسترق النظر اليها في

نصف الساعة الأخيرة. وكان من الصعب الا تشعر بفروغ الصبر، على الرغم من معرفتها ان مدينة بيلا فيستا لم تكن على مسافة قريبة. ثم ان جان كان يعرف، منذ اكثر من اسبوع، موعد وصولها. ولذلك كان بامكانه ان يعد العدة لقضاء ليلة في ريو بدل ان يتركها تنتظر في المطار الى اجل غير مسمى.

ومنذ وصولها استخدمت كل وسائل الراحة في المطار. فدخلت غرفة الحمام واستحمت وبدلت ثيابها وتزينت لأول مرة بعد مغادرتها مطار لندن لستّ وثلاثين ساعة خلت. وهي انما فعلت ذلك ارضاء لجان. غير انها الآن بدأت تتمنى لو انها لم تفعل ولم تتحمل كل ذلك العناء. وتجولت في ارجاء المطار تبحث عن نماذج حقيقية للخشب المحفور الذي اشتهرت البرازيل بصناعته، كما انها تناولت طعاماً خفيفاً في مطعم المطار قبل ان تلجأ الى المقهى، حيث جلست تحتسي كوباً من الشراب البارد.

وقبل ذلك، حين اخذت الطائرة التي أقلتها تحوم فوق مطار غاليو، استولى عليها شعور الدهشة والاعجاب لكثرة المعالم الجذابة المثيرة التي رأتها. هنالك الجبل المسمى شوغر لوف وقمة كوركوفادو التي تشرف على خليج غانابارا وكانت القمم التي وراء الجبلين تأخذ بمجامع القلوب الى درجة جعلتها تغض النظر عن رؤية ساحل كوباكابانا الشهير والفنادق الفخمة التي تناطح السحاب قبالته.

وأمام هذا الشعور أدركت بغريزتها ان اسابيع الانتظار التي عانتها اخيراً لم تكن من دون فائدة، حتى انها لم تستطع ان تصدق انها ستلتقي جان مرة اخرى وتنعم بالطمأنينة في ظل حضوره، وهو ما جذبها اليه فوق اي شيء آخر. وحين اخبرها انه سيذهب للعمل في البرازيل، شعرت بالاستياء اول الأمر. غير انها فيما بعد شكرت له الفرصة التي اتاحها لها للسفر الى تلك البلاد والتعرف الى جزء رائع ومثير من الكرة الأرضية، على الرغم من انها، منذ ستة اشهر، حين فارقها مغادراً انكلترا، كانت لا تزال تغالب حزنها العميق على فقدان والدها الذي كانت تحبه اعمق الحب. ولعل ذلك هو الذي حال بينها وبين التطلع الى المستقبل بثقة وايمان.

وكانت قد فقدت والدتها منذ عدة سنين، حين كانت لا تزال طفلة،

فأصبح والدها معيلها الوحيد. وان يكون قضى نحبه وهو في طريقه لمعاينة مريض، فأمر زاد في شقائها وأساها، خصوصاً ان ذلك المريض كان من «زبائنه» الدائمين الذين كانوا مقتنعين انهم قادرون على التقاط أية عدوى تنتشر حولهم. ولكن والدها الدكتور مالوروي لم يكن يرفض او يهمل أي طلب يرد اليه. وكان يعلم في تلك الليلة التي ذهب فيها لتلبية طلب ذلك المريض ان سيارته قد تصطدم بسيارة اخرى لكثرة الضباب الذي كان يلف مدينة لندن. وحين قضى نحبه بقيت دومينيك عدة اسابيع تحت وطأة الأسى والذهول، غير مصدقة ان والدها مات وتركها وحيدة في هذا العالم.

كان لها أقارب أبعدون، عمة وعم وأبناء خؤولة وعمومة في شمالي انكلترا، الا ان دومينيك لم تشأ مشاطرة الغرباء حزنها، خصوصاً اذا كانوا لا يستطيعون ان يقدموا لها غير الشفقة والعطف.

وفي تلك الحالة من الحزن الشديد التقت جان هاردنغ لأول مرة. كان نجل آدم هاردنغ محامي والدها وصديقه الحميم، وهو عاد اخيراً من الشرق الأوسط، حيث كان يعمل في مختبر شركة لاستخراج النفط. وكان شاباً وسيماً جذاباً في نحو الثلاثين من عمره، فلا غرابة ان تشعر دومينيك نحوه بميل شديد.

وأدرك جان انها كانت منطوية على نفسها من شدة الحزن، فأخذ على عاتقه التخفيف عنها واقناعها بأن الحياة مستمرة في سيرها كالعادة. على ان دومينيك ترددت في بادىء الأمر ولم تشأ ان تدع احداً ينفذ الى اعماق البؤس الذي كانت تعانيه. ولكنها مع مرور الأيام، وبفضل وجود جان في حياتها، بدأت تبتسم وتستقبل الحياة برضى.

وكان اصعب شيء يواجهها هو ايجاد عمل ترتزق منه. فحين كان والدها على قيد الحياة كانت تعاونه في عيادته. بالطبع، كان بامكانها ان تستمر على مزاولة هذا العمل مع الطبيب الذي حل محل والدها في العيادة، الا انها لم تشأ ان تفعل ذلك. ولكن جان هو الذي وجد لها عملاً مع صديق له كان طبيباً للأسنان. وسرّت دومينيك بوظيفتها الجديدة، وعندما بيع البيت الذي كانت تسكنه مع والدها، وجد لها جان شقة لسكناها.

وشجع آدم هاردنغ علاقة ولده بها، حتى ان دومينيك ادركت انه هو

وزوجته يرجوان ان تثمر علاقتها بالزواج. وعلى الرغم من ثقة دومينيك بنفسها، فانها ارتاحت الى وجود من يفكر عنها. وحين حصل جان على وظيفة في احد مختبرات لندن، قبلت دومينيك ان تدع الحياة تأخذ مجراها بهدوء واطمئنان.

ولكن ما ان مضت بضعة اشهر حتى قبل جان وظيفة سواها في البرازيل.

فاستولى الهلع على دومينيك لأنها كانت تحسب ان جان سيعمل دائماً في انكلترا، وانهما عاجلاً او آجلاً سيتزوجان. وكانا بالفعل تزوجا لو لم تكن دومينيك في حداد على والدها. وحاول جان ان يقنعها بالزواج به لاصطحابها الى البرازيل، غير انها ترددت وطلبت وقتاً اضافياً للتأمل والتفكير والاستعداد لاتخاذ هذه الخطوة الحاسمة في حياتها. على انها قبلت ان تعقد خطوبتهما قبل سفره الى البرازيل، ثم تلحق به بعد ان يستتب له الأمر، فيتزوجان هناك. وشق على والدي جان، طبعاً، ان لا يحضرا حفلة الزواج، الا انهما تفهّما موقف دومينيك كل التفهم.

وفي غضون الأسابيع التي انقضت على سفر جان، عانت دومينيك نوبات من الندم على رفضها الذهاب معه. غير انها تمكنت مع الايام ان تكيف حياتها وفق الظروف الراهنة وتبتسم للحياة من جديد. فتصادقت مع الفتاتين اللتين تسكنان الشقة المجاورة لشقتها وبدأت تخرج معهما من حين الى آخر لقضاء سهرة أو القيام بنزهة. وفي كل اسبوع كانت تزور آل هاردنغ وتقضي معهما احياناً عطلة نهاية الاسبوع، وكم كانت تشكر لهما العناية بها والترويح عن نفسها لفراق جان ولفقدان والدها.

وكان جان يراسلها باستمرار، فيعرب لها عن شوقه اليها وتطلعه الى اليوم الذي يجمعهما معاً. وكان يصف حياته التي يقضيها في البرازيل، فاتيح لها ان تعرف شيئاً عن تلك البلاد التي ستسافر اليها بعد حين وتسكن فيها الى أجل غير مسمى، وخصوصاً مقاطعة بيلافيستا، حيث كان جان يقيم ويعمل. وعلمت من جان ان تلك المقاطعة يقطنها خليط من الاميركيين والالمان والانكليز، بالاضاف الى البرازيليين انفسهم. وكانت شركة النفط المسماة سانتوس كوربوريشن التي يعمل فيها جان شركة كبرى.

ونظرت دومينيك الى ساعتها مرة اخرى، فاذا بها تشير الى الرابعة بعد الظهر. وكانت طائرتها حطت في المطار منذ الحادية عشرة صباحاً، مما جعلها تشعر بالقلق الشديد. فلو كان جان سيتأخر كل هذا التأخر في ملاقاتها، لاقترح عليها النزول في احد الفنادق لتتفادى مشقة الانتظار في المطار.

وكانت على وشك ان تطلب كوباً ثالثاً من الشراب، حين ادركت ان رجلاً كان يتفحصها باهتمام من حول طاولة لا تبعد عنها كثيراً. فرمقته بنظرة باردة، ولكنه لم يرعو، بل اخذ يحدق اليها بمزيد من الاهتمام. فأثارها ذلك واعتبرته شيئاً لم يعد يطاق. ولم يكن منها الا ان نهضت عن كرسيها وحملت حقيبتها الصغيرة واتجهت نحو الباب. على انه كان عليها ان تمر بقرب الطاولة التي يجلس حولها الرجل، فلم تتمالك من القاء نظرة عليه، فاذا هو شاب لم تشاهد في مثل جاذبيته ووسامته شاباً من قبل. كان شعره اسود فاحماً، وبشرته قاتمة اللون، وعيناه غارقتين ببصيص نور كستنائي اللون. وكان فارع القامة، ذا وجه تدل ملامحه على الدعة والقساوة معاً. فلا غرابة ان يستولي عليها الاضطراب وهي تدفع الباب للخروج منه الى البهو الوسيع.

وتنهدت وهي تجول بنظرها في ما حولها، على أمل ان تشاهد جان. اما كان يدرك ان لا بد لها من ان تشعر بالغربة وضيق الصدر في مطار غريب كهذا المطار؟ وماذا يا ترى جعله يتأخر في المجيء الى لقائها كل هذا التأخر؟ فهل يا ترى أصيب بمكروه؟

اجتازت البهو وجلست في أحد المقاعد المريحة، ثم اخرجت سيكارة واشعلتها واخذت تنفث دخانها بفروغ صبر. وفجأة سمعت صوت رجل يقول لها:

ـ هل أنت الآنسة مالوروي؟ دومينيك مالوروي؟

فالتفتت الى مصدر الصوت ولشدة ما كانت دهشتها حين وجدت نفسها وجهاً لوجه مع الرجل الذي كان يرمقها في المقهى.

ولكنها تمالكت نفسها وأجابته قائلة:

ـ كيف تعرف اسمي؟

www.mlazna.com مرمورية

فقال وهو يضع يديه في جيبي سرواله:

ـ في هذا المطار كثيرات من النساء الانكليزيات الوحيدات، وانت احداهن...

فنهضت دومينيك واقفة على قدميها. وعلى الرغم من طول قامتها، فانها كانت أقصر منه بكثير.

قالت له:

ـ أرجو ان يكون كلامك أكثر وضوحاً.

فهز كتفيه وهو يقول:

ـ الحق معك يا آنسة مالوروي. اعذريني اذا كنت اخذت من وقتك الثمين. اسمي فنسانتي سانتوس، وانا زميل خطيبك في العمل.

شعرت دومينيك بالارتياح قليلاً وقالت له:

ـ وماذا جرى لجان... هل هو آت؟

ـ مع الأسف لن يأتي وسأشرح لك السبب بعد قليل. هل هذه الحقيبة هي كل ما لديك من أمتعة؟

فترددت دومينيك وهي تنظر الى حقيبتها، ثم قالت:

ـ وكيف أعرف حسن نيتك؟ هل لديك ما يعرف عنك؟

فابتسم الرجل نصف ابتسامة واجاب قائلاً:

ـ اراك لا تثقين بي.

فسارعت الى القول:

ـ ما أدراني؟ فقد تكون أي شخص كان، سمع باسمي يتردد على ألسنة بعض المسؤولين في المطار...

فهز الرجل كتفيه العريضتين وقال:

ـ الحق معك يا آنسة مالوروي. الحكمة تقضي باتخاذ الحيطة والحذر... ولكنني اؤكد لك اني صادق في ما أقوله... هناك فنسانتي سانتوس واحد في العالم وهو أنا.

فحدقت اليه متسائلة: هل هو يا ترى جاد في ما يقول؟

وخاطبته قائلة:

ـ أما لديك وثيقة تثبت هويتك؟ كرخصة قيادة سيارة، مثلاً؟

فأخرج فنسانتي من جيبه جواز سفره ورخصة دولية لقيادة سيارته، فالقت عليهما دومينيك نظرة سريعة لثقتها بأن المتمرد على القانون لا يملك مثل تلك الجرأة والثقة بالنفس.

فقالت له:

ـ شكراً. معي هذه الحقيبة فقط، لأن بقية حقائبي شحنتها مع حقائب المسافرين على الطائرة.

اعاد فنسانتي اوراقه الى جيبه وحمل الحقيبة واشار الى دومينيك بان تتبعه عبر البهو الى خارج المطار.

وفي الخارج كان الطقس حاراً، وخصوصاً لدومينيك التي قضت ساعات في برودة مكيف الهواء داخل المطار. ولاحظ سانتوس عليها تضايقها فقال لها:

ـ الطقس الآن أقل حرارة منه في منتصف النهار... وستعتادين عليه في وقت قريب.

حاولت دومينيك الابتسام وتمنت لو ان جان اوفد رجلاً آخر للقائها، يكون أقل من سانتوس جاذبية وثقة بالنفس.

وكانت بانتظارهما سيارة فخمة خضراء اللون، فألقى سانتوس الحقيبة على المقعد الخلفي، وفتح الباب لدومينيك. فدخلت وانتظرت منه الانضمام اليها، فيما اخذت تتنشق رائحة الزهور التي كانت تحيط بموقف السيارة. وكانت ألوان الزهور ساطعة الى حد جعل دومينيك تشعر بالسرور يسري في عروقها.

صعد سانتوس الى السيارة وجلس الى جانبها وهو يبتسم لها، فبدت أسنانه بيضاء اكثر مما هي ازاء بشرته وملامحه القاتمة.

وقال لها:

ـ ألم تزوري البرازيل من قبل؟

ـ كلا.

ـ ولكنك بدأت تشعرين بنبض الحياة في بلادنا.

قال هذا وانطلق بالسيارة الى الطريق العام.

اعجبت دومينيك بامارات وجهه المعبرة. وعاد اليها الشعور ذاته الذي

www.mlazna.com

استولى عليها قبل ان تحط الطائرة. كان هنالك شيء بدائي غير مدجن في تلك البلاد، على الرغم من ناطحات السحاب والعمارات السكنية الفخمة. وكيف لا وماتو غروسو لم تكن بعيدة من هناك، وهي غابات منعزلة تخترقها أنهار محفوفة بالمخاطر، حيث يضيع الانسان ويختفي دون ما أثر.

وتنبهت دومينيك الى ان سانتوس يخاطبها، فاستجمعت ذهنها الشارد وأصغت اليه. وكان يقول لها:

ـ كنت تسكنين في لندن، على ما اعتقد.

ـ نعم، في الضواحي. هل لك ان تخبرني لماذا لم يأت جان للقائي؟ وأين نحن ذاهبان الآن؟

فابتسم قائلاً:

ـ كنت بدأت اعتقد انك نسيت الغاية من زيارتك لهذه البلاد... بيلافيستا، حيث ستسكنين، هي في تلك الجبال، ولكن الطرق اليها غير آمنة ولا سالكة تماماً. على ان ذلك لا يجعل بيلافيستا مكاناً موحشاً لا مدنية فيه. فهي تضم متحفاً وجامعة... غير ان الوصول اليها أمر آخر.

ـ وماذا بعد؟

ـ وقع انهيار على حافة الطريق منذ مدة...

فصاحت بلهفة:

ـ وهل وقع ضحايا؟

ـ كلا. ولكن خطيبك انعزل وسدت في وجهه الطريق... فتلفن لي!

ـ وانت... هل كنت في ريو؟

ـ كلا. كنت في بيلافيستا.

فتأوهت دومينيك وقالت له راجية:

ـ بربك يا سيد سانتوس، لا تعذبني... كيف امكنك ان تصل الى هنا اذا كان جان لم يتمكن من الوصول؟

فاجاب وهو ينعطف بالسيارة انعطافة سريعة جعلت دومينيك تميل نحوه، حتى كادت تصطدم بمقعده:

ـ لدي وسيلة أخرى للتنقل... اعني طائرة مروحية.

ـ وهل تسكن في بيلافيستا يا سيد سانتوس؟

ـ اسكن في كل مكان... ولكن لي منزل في بيلافيستا.

حملت دومينيك نفسها على تصديقه وتساءلت اذا كان هو صاحب الشركة التي يعمل فيها جان، وما هو نوع العلاقة التي تربطه به، وهل يعرفه جيداً؟

ولم تشأ ان تثقل عليه بالاسئلة، فاكتفت بالقول:

ـ هل نحن ذاهبان الى بيلافيستا الآن؟

فاجابها مذكراً:

ـ الطريق مسدودة.

ـ ولكن، اين الطائرة المروحية؟

فبدت على وجهه ملامح السخرية، مما بعث الاحمرار في وجنتي دومينيك. وخيل اليها انه من الرجال الذين اعتادوا معاشرة النساء، فلم تعرف كيف تعامله. ولم يكن ذلك عائداً الى غرابة ملامحه، أو الى كون هندامه وسيارته ومجمل تصرفاته دليلاً على نوع من الثراء الذي لا عهد لها به من قبل، وانما كان عائداً الى شيء آخر، الى شيء لم تستطع تحديده، جعله يختلف عن اي شخص عرفته في حياتها. والذي أثارها هو انه كان على وعي تام بجاذبيته، وربما، بالتأثير الذي يبعثه فيها.

تصلبت في جلستها وقالت له بحزم:

ـ ماذا تنوي ان تفعل بي؟

فقهقه ضاحكاً وقال:

ـ افعل بك يا آنسة مالوروي؟ هذا كلام لا يجوز ان يصدر منك. ماذا تتصورين اني سأفعل بك؟

وحدقت اليه دومينيك بذهول، ثم جمعت شتات افكارها وقالت له باختصار:

ـ انت تعلم، ولا شك، ما أعنيه!

فاحنى رأسه على المقود قليلاً واجابها قائلاً:

ـ نعم، انا ادرك انك متشوقة جداً للقاء خطيبك. وهذا من حقك، لأنه ترك انكلترا منذ اشهر، وفي هذه الاثناء كان من الممكن حدوث أي شيء.

وعلى كل حال، فالظلام سرعان ما سيخيم، ولا أريد أن أجازف بحياتي ان أنا حاولت الهبوط بالطائرة المروحية بين تلك الجبال...

فشدت على حقيبة يدها بعصبية وقالت:

- هكذا اذن؟

- نعم، ويؤسفني ان اخبرك بأن عليك ان تقضي الليلة في ريو، حيث حجزت لك غرفة في احد الفنادق الفخمة... وغداً يمكنك ان ترتمي في احضان حبيبك!

فرمقته دومينيك بنظرة صارمة وهي تقول:

- شكراً! لا احتاج منك الى تعليمات وارشادات!

- أنا متأكد من ذلك...

قال هذا الكلام بسخرية، ثم قطب جبينه وأضاف قائلاً:

- انت لا تثقين بي يا آنسة مالوروي... لماذا؟

- أنا لم أقل ذلك!

- لا، لكنه واضح في تصرفاتك نحوي... ربما تظنين اني اختطفك. فحين تصلين الى الفندق يصبح بامكانك ان تتحدثي الى خطيبك هاردنغ بالتلفون.

فلما سمعت دومينيك لفظة «تلفون» شعرت بالارتياح، فيما ظل سانتوس يرميها بنظراته الساخرة.

وقال لها:

- انت فتاة جميلة يا آنسة مالوروي، ولكني آسف ان أخبرك بأني عرفت نساء جميلات كثيرات، ولم الجأ الى اختطافهن لاجعلهن يستسلمن ويرضخن لي!

وكان هذا الكلام يزيد في احراج دومينيك لو لم تظهر لها ضواحي المدينة، حيث هالها ان تفاجأ بالفقر المدقع الذي دلت عليه بعض البيوت الشبيهة بالأكواخ الحقيرة.

وأدرك سانتوس بحدسه ما كانت تفكر فيه، فقال لها:

- حيث هناك غنى فاحش، فهناك فقر مدقع ايضاً... انت مثل كل الناس يا آنسة مالوروي، تريدين ان ترى فقط ما توقعت ان تريه!

تطلعت اليه دومينيك قائلة:

- وكيف ترى انت هذا الفقر المدقع يا سيد سانتوس، ام انك لا تراه ابداً؟

فاجابها عابساً:

- نعم... أراه يا آنسة مالوروي!

وكان في صوته شيء من المرارة لم تكن تلحظه من قبل.

وأضاف قائلاً:

- ربما تتصورين اني لم أعرف الا هذه الحياة، حياة الترف والرفاهية.

فعضت دومينيك على شفتها وقالت:

- لم أفكر في ذلك يا سيد سانتوس!

- اذن، كان عليك ان تفكري قبل ان تتكلمي.

وكانت مدينة ريو من الجمال والروعة بحيث لا يحدها الوصف. حتى البندقية التي زارتها برفقة والدها لم تكن تتحلى بفرادة البناء المعماري الذي اشتهرت به ريو. كانت الشوارع تعج عجيجاً بالسيارات والمارة الذين كان معظمهم من الشباب وهم يرتدون ملابس السباحة. وكان هنالك، طبعاً، متاحف وناطحات سحاب على جانبي الشوارع العامرة بالاشجار الباسقة والمرصوفة بالرخام الأبيض والأسود.

وكان الفندق الذي توقف أمامه سانتوس قائماً في أحد الشوارع الجانبية الهادئة القريبة من وسط المدينة. وكان شامخاً فخماً يفرض الهيبة والوقار، بخلاف معظم الفنادق التي تواجه الشاطىء في كوباكابانا. غير انه كان من الداخل حديث الاثاث والرياش ووسائل الرفاهية.

وترك سانتوس سيارته في الموقف ودخل الفندق وبجانبه دومينيك. ثم سار يتقدمها نحو مكان الاستقبال. وادركت من الحفاوة التي استقبل سانتوس بها انه يتمتع بتقدير واحترام بالغين.

وبعد ان تحدث الى المسؤولين هناك، عاد وقال لها:

- غرفتك جاهزة. احسب انك تعبة وبحاجة الى الراحة والاستحمام قبل تناول طعام العشاء الذي يقدم للزبائن في أي وقت بعد السابعة والنصف... وقبل وصولنا تلفن هاردنغ ليستخبر عنك، وسيتلفن مرة

ثانية فيما بعد... هذا كل شيء عندي اعلمك به...

وشعرت دومينيك، بعد ان أدى مهمته على اكمل وجه، بانها تأبى ان تفارقه. ولعل ذلك عائد الى شعورها بالغربة والوحدة.

وسار سانتوس في اتجاه الباب، فبدا لها كالنمر بقامته النحيلة المفتولة العضلات، تحت بزة شفافة ناعمة الملمس. وخيل لدومينيك انه، كشبيهه في عالم الحيوان، قد يكون مؤذياً.

والتفت اليها قبل ان يفتح الباب وقال:

ـ هل يروقك كل هذا؟

ـ بكل تأكيد.

ـ سآتي اليك في العاشرة من صباح الغد. والآن، ليلتك سعيدة يا آنسة مالوروي.

ـ شكراً... يا سيد سانتوس.

وتناول احد الخدم حقيبتها التي تركها سانتوس الى جانبها، وأشار اليها بانكليزية ركيكة بأن تتبعه.

وكانت غرفتها واسعة فخمة ذات عدة نوافذ تطل على المدينة. وعلى الرغم من ضجيج الشارع، فانها كانت هادئة ومريحة.

وبعد ان استحمت، استلقت على فراشها تنعم بهواء المروحة المبرد وتحدق الى جهاز التلفون. فلعلها حين تسمع صوت جان يفارقها الشعور بالقلق الذي أخذ يستولي عليها.

٢ ـ مغامرة مع النمر

واستسلمت دومينيك للنوم، ثم استيقظت على رنين التلفون. كانت الغرفة غارقة في الظلام، الا ان انوار الشارع كانت تتسرب من خلال النوافذ. وشعرت قليلاً بالقشعريرة وهي تضيء المصباح الذي بجانب السرير. وتناولت سماعة التلفون ونظرت الى ساعة يدها، فاذا هي تشير الى الثامنة والنصف.

وسمعت جان يقول في الطرف الآخر من الخط:

ـ دومينيك! اهذا انت؟ شكراً لله. اعتذر على عدم لقائك في المطار... هل اخبرك سانتوس عن السبب؟

ـ نعم يا جان. كم يسرني ان اسمع صوتك بعد هذا الفراق الطويل... انا بخير... والفندق مريح ورائع...

www.malzama.com

- يسعدني ذلك... هل تناولت طعام العشاء؟
- كلا... استلقيت على فراشي فغلبني النعاس. ولكني اتضور جوعاً الآن... واتطلع شوقاً الى لقائك. هل ازالوا الركام عن الطريق؟
- ازالوه؟ هذا يأخذ وقتاً طويلاً في هذه البلاد.
- لم اكن اعلم ذلك.
- وهل انت خائفة من ركوب الطائرة المروحية؟ سانتوس قائد ماهر.
- كلا، لست خائفة. ولكن اخبرني يا جان، من هو سانتوس هذا؟ هل له علاقة بالشركة التي تعمل فيها؟
- نعم... والده مؤسس الشركة.
- هو رئيسك، اذن؟
- لا. سانتوس لا يهتم كثيراً بشؤون الشركة. فهو منشغل بانفاق المال الذي تجنيه هذه الشركة.

فظهر العبوس على وجه دومينيك وهي تقول:

- يبدو لي من لهجتك انك لا تحبه.
- سانتوس؟ لا شيء يجمعني به. اما اني لا احبه، فهذا شعور متبادل.

فاضطربت دومينيك، خصوصاً لأنها لم تسمع جان يتكلم عن أحد بمثل تلك المرارة. فقالت له:

- ولكن، لماذا اخترته للقائي؟
- لأن الطائرات المروحية غير متوافرة في هذه البلاد. وحين تلفنت لفرع الشركة في ريو أخبرهم بانهيار الطريق، كلّفوا سانتوس القيام بالمهمة.
- وماذا تعمل الآن؟ وأين انت؟
- في شقتي وستعجبك يا عزيزتي... فهي شقة واسعة وفي بناية جديدة. لم اشتر الأثاث كله بعد، لأني تركت ذلك لك. وفي هذه الأثناء ستقيمين عند آل رولينغز كما كتبت لك. وعينت موعداً لزواجنا بعد خمسة اسابيع من اليوم، وهذا يعطيك متسعاً من الوقت لتكيفي نفسك للحياة في هذه البلاد، ولشراء ما ترين شراءه للبيت. فعندنا هنا حوانيت جيدة، والسيدة رولينغز وعدت باعارتك آلة الخياطة لتجهيز الستائر وما الى ذلك.

ونفثت دومينيك دخان سيكارتها وقالت:

- لا استطيع ان اصدق انني هنا في البرازيل!

فضحك جان وقال:

- هذا شيء طبيعي... ولا بد لك من بعض الوقت لاستيعاب التغيير الذي طرأ عليك.
- الحق معك.

وتابع جان كلامه قائلاً:

- على كل حال، فغداً نلتقي... كم انا في شوق الى رؤيتك ومعانقتك... فأنا احبك يا حلوتي!

فتمتمت قائلة:

- وأنا ايضاً يا جان!
- سأودعك الآن. اذهبي وتناولي طعام العشاء ونامي باكراً، فلا شك انك متعبة.
- لن انام في الحال، بعد ان نمت ثلاث ساعات... ولكني سأذهب واتناول طعام العشاء. هل تكون في انتظاري حين تحط بي الطائرة يا جان؟
- بكل تأكيد يا حلوتي. والآن وداعاً.
- وداعاً والى اللقاء.

وبعد ان وضعت السماعة في مكانها جلست تحدق الى جهاز التلفون بضع دقائق. واستغربت كم بدا لها كلام جان مختلفاً عما كان عليه في انكلترا... أو لعله لم يكن مختلفاً في الواقع، وانما سماعها له كان مختلفاً.

وتأوهت وهي تفكر انه كان عليها ان لا تفترق عن جان هذه الأشهر الستة. أيكون ان هذه المدة فعلت فعلها فأحدثت فيها شيئاً من التغيير؟ ماذا لو ان رأيها فيه يختلف الآن عن الرأي الذي كونته عنه تحت ظروف عادية في انكلترا؟

ولكنها صرفت من ذهنها هذا التفكير الذي اعتبرته سخيفاً، لأن من احب احداً احبه مهما كانت الظروف.

نهضت عن حافة السرير وفتحت حقيبتها. فضلاً عن الفستان الذي كانت ترتديه حين غادرت لندن، والذي بذلته في المطار، كان معها فستان جديد أعدته لأول ليلة تقضيها في بيلافيستا. فأخرجته من الحقيبة وألقته

www.mlazna.com مرموريـة

على السرير، وبعد ان تزينت قليلاً لبسته وغادرت الغرفة الى المطعم في الطبقة السفلى.

وكان المطعم في ذلك الوقت من الليل غير مزدحم كثيراً، فقادها الخادم الى احدى الموائد. ولعله حسبها صديقة حميمة لفنسانتي سانتوس، فرحب بها وعاملها بحفاوة بالغة. ثم قال لها بعد ان انتهت من طعامها:

- هل اعجبك الطعام يا آنسة؟

- شكراً. كان الطعام لذيذاً جداً.

- يسرني ذلك. اتريدين شيئاً آخر؟

فهزت رأسها وأجابت قائلة بلطف:

- كلا، شكراً.

وهنا سمعت صوتاً يقول للخادم:

- هل اعتنيت بخدمتها جيداً كما يجب؟

فالتفتت دومينيك الى مصدر الصوت، فرأت سانتوس واقفاً وراء الخادم بقامته النحيلة وبشرته القاتمة اللون، وهو يرتدي ثياب السهرة.

نظر اليه الخادم بابتسامة كلها اعجاب وتقدير وقال:

- آه يا سيد سانتوس... ما هذه المفاجأة السعيدة... ارجو ان تتأكد انني قمت بواجبي نحو الآنسة على قدر ما استطيع...

تقدم سانتوس الى المائدة وجلس على الكرسي وهو يقول:

- ارى، يا آنسة مالوروي، انك تتجنبني المغامرة... اليس هذا صحيحاً؟

فأجابت دومينيك بحياء:

- هذا يتوقف على نوع المغامرة!

- على كل حال، فأنت رائعة الجمال يا آنسة مالوروي، ولا يجوز ان تهدري هذا الجمال في مطعم كهذا.

فشعرت دومينيك بالحرج الشديد، على الرغم من انها كانت متأكدة من انه لم يحضر الى الفندق الا ليرى اذا كانت تعامل معاملة حسنة.

وقالت له:

- ماذا تقترح يا سيد سانتوس؟

فابتسم وأجاب قائلاً:

- ماذا اقترح؟ اعرف نادياً ليلياً يدعى بيرانا حيث يمكننا ان نرقص ونستمع الى الموسيقى.

فارتجفت دومينيك وصاحت:

- بيرانا؟ اليس هذا اسم السمك الذي يبتلع فريسته بلحظة؟

- نعم... وأنوي ان اقدمك له ذبيحة مقدسة.

فعضت دومينيك على شفتها وقالت:

- على كل حال، فأنا لا اظنك جاداً في اقتراحك قضاء بقية السهرة معاً. اتمنى لك ليلة سعيدة يا سيد سانتوس، والى اللقاء غداً كما تواعدنا.

ونهضت على قدميها، فنهض سانتوس ايضاً وسد طريقها وهو يقول:

- ألا تعتقدين اني جاد في اقتراحي؟ لماذا؟ هل لأنه لا يجوز لي الترفيه عن خطيبة زميل لي في مثل هذه الظروف؟

- انت لست، في واقع الأمر، زميلاً لخطيبي...

فقال لها بتهكم لاذع:

- اراك تحدثت الى خطيبك، فحذرك مني!

وحاولت دومينيك ان تخطو الى الأمام وهي تقول:

- كلا. ولماذا يحذرني منك؟ ارجوك ان تدعني وشأني.

- اصبري قليلاً... هل تمانعين في مرافقتي لك؟

- لا امانع.

- ولكنك رفضت.

فأجابته قائلة بحزم:

- قد يطيب لك ان تسخر بي يا سيد سانتوس. ولكن اعلم انني لم اعد اتحملك... فاعذرني ودعني اسير في حال سبيلي.

فمال سانتوس عن طريقها قائلاً:

- اخطأت التقدير... ظننت انك تشعرين بالوحدة.

فنظرت اليه بنفاد صبر وقالت:

- ولذلك اخذتك الشفقة علي!

- ليس هذا تماماً... انما انا مستعد ان اريك بعض الشيء جانباً من

النشاط الثقافي في عاصمة بلادي.

خطت دومينيك خطوة مترددة الى الأمام، ثم التفتت اليه وقالت:

ـ هذا لطف منك... وأنا كنت اود ان اشاهد قليلاً من معالم هذه المدينة.

ـ ومع ذلك تترددين. هل انا اخيفك الى هذا الحد؟ وهل انّ قضاء بعض الوقت معي يثير فيك الاشمئزاز؟

ابتسمت دومينيك وقالت:

ـ انت تعلم جيداً انك تسيء فهمي عن قصد!

ودار سانتوس حول المائدة حتى اقترب منها. ونظر اليها بامعان ولمس بيده ذراعها قائلاً:

ـ انت، كما قلت لك يا آنسة مالوروي، فتاة رائعة الجمال ويسرني جداً ان اصطحبك الى بيرانا.

شعرت دومينيك بعضلات ذراعها تتصلب تحت لمسة اصابعه، وبقشعريرة تسري في مفاصلها. هل كان يعي تماماً تأثيره فيها؟ لم يكن يبدو عليه ذلك، ولكن المظاهر قد لا تدل على شيء. ومع كل ما كان عليه من تهذيب، الا انه كان بالنسبة اليها مغلفاً بالغموض.

وحاولت ان تبعد عنها هذه الأفكار. فمن غير المعقول ان تدعه يثير فيها الاضطراب. فهل هذا لأنها لم تجد نفسها في صحبة رجل منذ فارقها جان لأشهر خلت؟ ولماذا لم ترفض دعوة سانتوس رفضاً قاطعاً وتذهب الى غرفتها؟ هذا ما كان يجب عليها ان تفعل وما ينتظره منها جان. ثم لماذا تشعر بالحيوية والنشاط بدل ان تشعر بالتعب والعياء؟ ألأنها نامت عدة ساعات في مساء ذلك النهار؟!

تمتمت قائلة له:

ـ ارى انه يجب علي ان ارفض دعوتك...

فانتصب سانتوس في وقفته وقال:

ـ هل لأنك خائفة مني يا آنسة مالوروي؟

وكانت بالفعل خائفة الا انها رفضت ان تقر بذلك، فقالت:

ـ هذا الكلام هراء يا سيد سانتوس!

ـ اذن، تعالي معي، وبرهني لي انك لست خائفة.

ـ سآتي، يا سيد سانتوس، سآتي... ما دمت مصراً كل هذا الاصرار.

فشد بأصابعه على ذراعها وقادها عبر غرفة الطعام التي كادت تخلو من الزبائن وقال لها:

ـ انا معجب بشجاعتك يا آنستي.

ونزعت دومينيك ذراعها من قبضته وهي تقول:

ـ الانسان لا يحتاج الى شجاعة يا سيد سانتوس، بل الى ثبات وعزم.

فاكتفى سانتوس بالابتسام ولم يتفوه بكلمة.

كانت ريو مدينة سحرية في الليل، تشع فيها ملايين المصابيح الكهربائية، وكان السير مزدحماً، الا ان الأنغام الموسيقية المنبعثة من الملاهي والحانات كانت تعلو على ضجيج السيارات. وكان نادي بيرانا على مقربة من الكوباكابانا، وهو يقع في بناية تتلألأ بالأنوار والألوان الزاهية. وكانت دومينيك تمقت هذا النوع من الأمكنة، ولكنها بصحبة سانتوس رأته بعين اخرى.

كان النادي يتألف من بضع غرف، واحدة للرقص والبقية للطعام والشراب وما الى ذلك. وكان يفصل الغرف احواض ماء تعج بأنواع السمك، وأما السمك الذي يحمل اسم بيرانا فكان في حوض واسع في وسط النادي. وشعرت دومينيك بالقشعريرة حين شاهدته. قال لها سانتوس:

ـ في وسع هذا السمك ان يلتهم الانسان في لحظة، فلا يبقى له اثر.

ـ اعرف ذلك... وهو ابليس السمك!

احاطها سانتوس بذراعيه وقال لها:

ـ دعينا نشرب كأساً من الشراب اولاً.

ـ اكتفي بعصير البرتقال... ارجوك... ولا شيء آخر.

على ان سانتوس لم يعمل برأيها، فطلب لها شراباً آخر. ولما رأته سألته في حيرة:

ـ ما هذا؟

ـ هذا مزيج خاص بي.

ولما ذاقته دومينيك وجدته لذيذاً وله نكهة الليمون الحامض مع شيء آخر.

وفي غرفة الرقص كانت الجوقة الراقصة تتابع رقصاتها في وسط الغرفة، وكان يتخلل المشاهد انواع مختلفة من الألعاب السحرية الأخاذة.

جلست دومينيك تتمتع بهذا كله. وشعرت بأن سانتوس يرمقها بنظراته الغريبة، من حين الى آخر. وخطر لها انها لم تحظ بمثل هذا الاهتمام من رجل قبل اليوم. قالت له:

- هل هذا ضروري؟

- ماذا تعنين؟

- اعني ان تحدق اليّ هكذا؟

- ولماذا لا؟ احب ان احدق اليك.

وحارت دومينيك بماذا تجيب، فما كان منها الا ان قالت له:

- دعنا نذهب الى حلبة الرقص.

وكانت الجوقة قد اخلت الحلبة، فصدحت الأنغام الراقصة. وقالت له وهو يمسك بيدها ويقودها وسط الموائد الى الحلبة:

- لا اريد... اعني...

- لا تريدين ماذا؟

فهزت دومينيك رأسها وهي ترزح تحت وطأة نظراته اليها، ثم اجابت قائلة:

- لم ارقص من قبل على هذه الموسيقى الصاخبة... فأنا امرأة عادية!

فأرسل ضحكة خافتة وقال:

- من قال لك هذا يا آنسة مالوروي؟

وبدأ الرقص ببطء، فوجدت دومينيك ان من السهولة مماشاة خطواته. على ان ذلك لم يكن مهماً لها في الوضع الذي كانت فيه. فتساءلت ماذا لو شاهدها جان تراقص هذا الرجل؟ غير انها صرفت عنها مثل هذه الفكرة حين تذكرت ان السهرة ستنقضي بعد قليل، فتعود الى غرفتها بانتظار اليوم التالي الذي سيجمعها بجان. وهكذا يختفي سانتوس من حياتها ويغمره النسيان.

نظرت اليه مرة وهي تراقصه، فرأت ان جديلة من شعرها تلامس خده. ونظر اليها هو بدوره نظرات حادة نفذت الى اعماقها، فيما اقترب منها اكثر. وأخذت ترتعش من شدة خفقان قلبها. وعزمت على ان لا تدعه يتجاوز هذا الحد في تصرفه معها.

وانتهت الرقصة. وفيما هما يغادران حلبة الرقص اوقفهما صياح امرأة كانت تغادر هي الأخرى حلبة الرقص مع رفيقها. كانت امرأة هيفاء القوام، فاحمة الشعر، رائعة الجمال، لم تر دومينيك امرأة في مثل حسنها وسحرها من قبل.

تقدمت المرأة الى سانتوس وعانقته بحرارة وهي تقول:

- فنسانتي! لم اعلم انك في ريو... لماذا لم تخبرني؟ رجعت من اوروبا منذ نحو اسبوعين، وانا الآن وحيدة بائسة لأنك لم تأت الي...

نظر سانتوس الى دومينيك من فوق رأس المرأة، فلاحظ ارتباكها. وقال للمرأة بلهجة جافة وهو يبعدها عنه:

- كنت منشغلاً يا صوفيا.

تطلعت صوفيا الى دومينيك بامعان وقالت:

- نعم، اراك منشغلاً جداً. ولكنني اظن انها صغيرة السن وساذجة قليلاً لترضي ذوقك في النساء!

فأجابها سانتوس قائلاً ببرودة:

- لم اطلب رأيك يا صوفيا!

- صحيح، ولكن لي الحق ان اعلن لك عما افكر فيه... فأنت دائماً تعود اليّ يا حبيبي!

وابتعدت دومينيك وقد ساءها هذا الحوار، واتجهت نحو المائدة وجلست حولها متمنية لو كان لها الشجاعة للخروج من النادي وحدها. كانت في مدينة غريبة لا تعرف فيها طريقها الى الفندق في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

وبعد قليل أقبل فنسانتي. وحين نظرت اليه وهو لا يزال واقفاً، قال لها:

- لا تفعلي ذلك مرة اخرى!

- ماذا؟ الأنني تركتك مع صاحبتك؟

فأمسك بمعصمها وانهضها عن الكرسي قائلاً:

- هيا. سنذهب الى مكان آخر.

فحاولت دومينيك الافلات من قبضته وهي تقول:

- اريد ان اعود الى الفندق يا سيد سانتوس... الى الفندق!

فلم يجبها بكلمة، بل سار الى خارج النادي وهو يكاد يجرها جراً وراءه.

وكان الهواء في الخارج دافئاً، والسماء فوقهما تغص بالنجوم المتلألئة. وأخذت دومينيك تتنفس بعمق لتطرد ما علق في رئتيها من هواء النادي المليء بالدخان.

ووصلا الى السيارة، فصعدا اليها بسرعة وانطلقت باتجاه الشاطىء. ثم انعطف بها سانتوس الى زقاق جانبي تقوم على جانبيه بنايات قديمة. وأرادت دومينيك ان تسأله الى اين هو ذاهب، ولكنها لزمت الصمت امام ملامح الغضب الظاهرة على وجهه.

ثم لم تلبث السيارة ان خرجت من الزقاق الى شارع عريض تحف به الأشجار الوارفة، واتجهت بها الى حديقة عامة في آخر الشارع. وكان على مقربة من الحديقة مساكن فخمة، فقاد سانتوس السيارة الى باحة احدها، حيث توقف ونزل لمساعدة دومينيك على النزول. تطلعت دومينيك الى البناية ثم الى سانتوس الذي قال لها:

- هيا... اتبعيني!

وسار بها الى احد المصاعد، فدخلاها. وكبس سانتوس على زر الطبقة العليا، وحين وصلاها وجدت دومينيك نفسها في شقة واسعة مفروشة بالسجاد الفاخر. ثم قادها سانتوس الى غرفة، وما ان رأتها حتى استولى عليها الذهول، لأنها لم تحلم يوماً بأن ترى في حياتها مثل ذلك الترف.

وقال لها سانتوس بشيء من الزهو:

- ما رأيك؟ ايعجبك هذا؟

فجمدت دومينيك في مكانها وقالت:

- جميلة ولا شك وأنت لا تحتاج الى من يخبرك بذلك.

- نعم، ولكني اريد رأيك بصراحة وصدق.

- هذا هو رأيي... والآن، دعنا نخرج من هنا.

فصاح بها:

- ماذا بك... الا تستريحين قليلاً؟ اغول انا؟ هذه شقتي!

- علمت بدون ان تخبرني.

- اذن، اجلسي واستريحي!

- افضل ان لا افعل!

- لماذا؟

- لو علم جان اني هنا، افلا يغضب؟

حدق سانتوس اليها وقهقه وهو يقول:

- يا الهي! هل تظنين ان خطيبك المسكين لم يتوقع قضاءك السهرة معي هذه الليلة؟

فصعد الاحمرار الى وجنتي دومينيك وقالت:

- ماذا تريد ايضاً ان تقول؟

- اريد ان اقول انك فضلت ان تغامري، ولذلك انت هنا!

- ماذا تعني؟

- انت تعرفين ما أعني...

فبادرته الى القول وهي تلتفت نحو الباب:

- احذرك يا سيد سانتوس! خطيبي...

فقاطعها قائلاً بازدراء:

- متى تكبرين وتنضجين؟ انا لست ممن يغوون كل امرأة يتعرفون اليها.

- اذن، لماذا جئت بي الى هنا؟

- لأتحدث اليك...

- عن ماذا؟

- عنك!

وخلع سانتوس سترته وقال لها:

- تعالي اجلسي وخذي راحتك. الطقس حار... دعي الأمور تجري على طبيعتها، ولا تستبقي الأمورا

فتأوهت دومينيك. وخشيت ان يغلبها على أمرها وهي في تلك الشقة المعزولة، حيث لا مجال للهرب. فعزمت على ان تقبل بالواقع لترى ماذا

www.mlazna.com مرمورية

فأمسك بمعصمها وانهضها عن الكرسي قائلاً:

- هيا. سنذهب الى مكان آخر.

فحاولت دومينيك الافلات من قبضته وهي تقول:

- اريد ان اعود الى الفندق يا سيد سانتوس... الى الفندق!

فلم يجبها بكلمة، بل سار الى خارج النادي وهو يكاد يجرها جراً وراءه.

وكان الهواء في الخارج دافئاً، والسماء فوقهما تغص بالنجوم المتلألئة. وأخذت دومينيك تتنفس بعمق لتطرد ما علق في رئتيها من هواء النادي المليء بالدخان.

ووصلا الى السيارة، فصعدا اليها بسرعة وانطلقت باتجاه الشاطىء. ثم انعطف بها سانتوس الى زقاق جانبي تقوم على جانبيه بنايات قديمة. وأرادت دومينيك ان تسأله الى اين هو ذاهب، ولكنها لزمت الصمت امام ملامح الغضب الظاهرة على وجهه.

ثم لم تلبث السيارة ان خرجت من الزقاق الى شارع عريض تحف به الأشجار الوارفة، واتجهت بهما الى حديقة عامة في آخر الشارع. وكان على مقربة من الحديقة مساكن فخمة، فقاد سانتوس السيارة الى باحة احدها، حيث توقف ونزل لمساعدة دومينيك على النزول. تطلعت دومينيك الى البناية ثم الى سانتوس الذي قال لها:

- هيا... اتبعيني!

وسار بها الى احد المصاعد، فدخلاها. وكبس سانتوس على زر الطبقة العليا، وحين وصلاها وجدت دومينيك نفسها في شقة واسعة مفروشة بالسجاد الفاخر. ثم قادها سانتوس الى غرفة، وما ان رأتها حتى استولى عليها الذهول، لأنها لم تحلم يوماً بأن ترى في حياتها مثل ذلك الترف.

وقال لها سانتوس بشيء من الزهو:

- ما رأيك؟ ايعجبك هذا؟

فجمدت دومينيك في مكانها وقالت:

- جميلة ولا شك وأنت لا تحتاج الى من يخبرك بذلك.

- نعم، ولكني اريد رأيك بصراحة وصدق.

- هذا هو رأيي... والآن، دعنا نخرج من هنا.

فصاح بها:

- ماذا بك... الا تستريحين قليلاً؟ اغول انا؟ هذه شقتي!

- علمت بدون ان تخبرني.

- اذن، اجلسي واستريحي!

- افضل ان لا افعل!

- لماذا؟

- لو علم جان اني هنا، افلا يغضب؟

حدق سانتوس اليها وقهقه وهو يقول:

- يا الهي! هل تظنين ان خطيبك المسكين لم يتوقع قضاءك السهرة معي هذه الليلة؟

فصعد الاحمرار الى وجنتي دومينيك وقالت:

- ماذا تريد ايضاً ان تقول؟

- اريد ان اقول انك فضلت ان تغامري، ولذلك انت هنا!

- ماذا تعني؟

- انت تعرفين ما أعني...

فبادرته الى القول وهي تلتفت نحو الباب:

- احذرك يا سيد سانتوس! خطيبي...

فقاطعها قائلاً بازدراء:

- متى تكبرين وتنضجين؟ انا لست ممن يغوون كل امرأة يتعرفون اليها.

- اذن، لماذا جئت بي الى هنا؟

- لأتحدث اليك...

- عن ماذا؟

- عنك!

وخلع سانتوس سترته وقال لها:

- تعالي اجلسي وخذي راحتك. الطقس حار... دعي الأمور تجري على طبيعتها، ولا تستبقي الأمور!

فتأوهت دومينيك. وخشيت ان يغلبها على أمرها وهي في تلك الشقة المعزولة، حيث لا مجال للهرب. فعزمت على ان تقبل بالواقع لترى ماذا

سيحدث.

وكأنما سانتوس ادرك ما يجول في خاطرها، فقال لها:

ـ لا. لا تستطيعين الهرب. فما عليك الا ان تتمتعي بما هو متاح لك. تعالي الى هنا واجلسي، ريثما آتيك بكأس من الشراب المنعش.

فأطاعت دومينيك واتجهت نحو مقعد وجلست فيه. وكان المقعد مريحاً جداً، فتمنت لو انها تخلع حذاءها وتستسلم للراحة التامة.

ناولها سانتوس كأس الشراب وجلس على مقعد قبالتها وقدم لها سيكارة وقال لها:

ـ اليس هذا افضل؟

ـ لماذا جئت بي الى هنا يا سيد سانتوس؟

ـ ناديني فنسانتي! لأن «السيد سانتوس» يبدو في غير محله في الحال التي نحن فيها الآن... وأنا اناديك «دومينيك»! يا له من اسم جميل أحبه...

فتجاهلت ملاحظته وتابعت كلامها قائلة:

ـ اخبرني يا سيد سانتوس، لماذا رجعت الى الفندق الليلة؟

ـ حباً بالاستطلاع عنك!

ـ عني؟

ـ نعم. فأنت اثرت فضولي... لأنك لست من النساء اللواتي يجدن هاردنغ أهلاً للحب!

فاستولى الذهول على دومينيك، خصوصاً لأنه ماهر في جعل الملاحظات المثيرة للغضب تبدو عادية.

وقالت له:

ـ انت لا تعرف شيئاً عني.

فنفث دخان سيكارته وقال:

ـ كيف لا اعرف؟ انا اعرف ما قالته صوفيا عنك... اي انك فتاة يافعة وساذجة. وهذا شيء جديد بالنسبة الي. فالنساء اللواتي عرفتهن يكتسبن الخبرة في سن مبكرة من حياتهن!

جرع ما تبقى من كأسه ونهض ليأتي بكأس اخرى. وفيما هو يفعل ذلك وقع نظر دومينيك على صورة فوق طاولة واطئة بقربها. كانت صورة فتاة في

نحو التاسعة عشرة، رائعة الجمال، ذات شعر فاحم أجعد، ووجه على شاكلة قلب، فتساءلت من تكون هذه الفتاة، فهي لا تشبه صوفيا من قريب ولا من بعيد.

وأحس سانتوس بما كان يجول في خاطرها، فقال وهو عائد للجلوس في مقعده:

ـ اية افكار تجول في خاطرك، الآن؟ هذه صورة اختي!

فهتفت دومينيك قائلة:

ـ يا لها من حسناء!

ـ نعم، ولكنها غير سعيدة في حياتها.

ـ لماذا؟...

ـ لأنها وقعت في غرام احدهم ولم يكن مخلصاً لها. وحين اكتشفت حقيقته صعب عليها ذلك ورفضت كل عطف وتعزية، وفضلت ان تدخل الدير وتصبح راهبة.

فقالت دومينيك وهي تضع كأسها على الطاولة بقربها:

ـ يؤسفني ان اسمع ذلك.

وتأملها جيداً قبل ان يخاطبها قائلاً:

ـ هل يؤسفك ذلك بالفعل يا دومينيك؟

وتجاهلت دومينيك تحديقه اليها، وقالت وهي تنظر الى ساعة يدها:

ـ يا الهي... الساعة الواحدة صباحاً!

ـ هل انت متعبة؟

ـ نعم، وكيف لا؟

ـ نامي هنا... عندي عدة أسرّة!

فشحب وجهها قليلاً وهي تقول:

ـ ارجوك يا سيد سانتوس، لا تعذبني!

فوضع سانتوس كأسه على الطاولة وقام الى جانبها وقال:

ـ هل بدا لك انني قلت ذلك لأعذبك؟

ـ نعم، هكذا بدا لي.

فتردد سانتوس قليلاً وهو يحدق اليها، ثم نهض وتناول سترته بغيظ

وقال:

- حسناً، حسناً... قومي نذهب.

وسار نحو الباب، فتبعته دومينيك. وانطلقت بهما السيارة، ثم سرعان ما توقفت امام الفندق. وفتح سانتوس لها الباب فخرجت وهي تترنح قليلاً. ولم ينتظر حتى تدخل الفندق، بل انطلق بسيارته في اعماق الليل.

وحين وصلت دومينيك الى غرفتها، خلعت ملابسها وألقت بنفسها على الفراش منهوكة القوى.

وقبل ان تستسلم الى النوم، اعترفت بينها وبين نفسها انها كانت تتمنى ان تعرف كيف كانت تشعر لو ان سانتوس لامسها وضمها اليه في عناق طويل.

٣ - الخوف من الرغبة

استسلمت دومينيك الى النوم العميق رغم قلقها الشديد، ولم تستفق الا في الثامنة صباحاً على ضجيج السيارات. كان صباحاً رائعاً، غير ان الضباب الذي كان يغلف سفوح التلال المحيطة بالمدينة أنذر بيوم حار.

وبعد ان استحمت ولبست ثيابها وتزينت، نزلت الى المطعم في نحو التاسعة. فتناولت طعام الفطور، ثم عادت الى غرفتها وجاءت بحقيبتها الى بهو الفندق وجلست تنتظر قدوم سانتوس. وبعد حين اقتربت منها موظفة الاستقبال وحيتها تحية الصباح وقالت لها:

- في الخارج سيارة تنتظرك الآن يا آنسة مالوروي.

فترددت دومينيك وقالت:

- ولكن علي ان ادفع حساب الفندق...

فأجابتها الموظفة قائلة:

- دُمت يا آنسة مالوروي... وأتمنى لك سفراً سعيداً.

- شكراً على حسن الضيافة.

وخرجت من باب الفندق وهي عابسة الجبين، فرأت سيارة فخمة بانتظارها. ونزل سائقها ليفتح لها الباب، فقالت له بحيرة:

- هل هذه سيارة السيد سانتوس؟

فأجابها السائق بلطف قائلاً:

- نعم يا آنستي.

وتنهدت دومينيك وهي تصعد الى السيارة. ثم قالت للسائق:

- اين السيد سانتوس؟

- السيد سانتوس يحييك ويعتذر عن عدم حضوره لطارىء حدث له، وطلب مني ان اوصلك الى بيلافيستا.

وسارت بها السيارة بعيداً عن الفندق الى الطريق العام. استلقت الى الوراء على مقعد السيارة الوثير وهي تشعر بالضيق والحيرة. لماذا قرر ان لا يرافقها؟ هل لهذا علاقة بما حدث ليلة امس؟

واشعلت سيكارة لتهدئة اعصابها. وخطر لها ان من الخير لها ان تنسى فنسانتي سانتوس. ففي ساعة أو اكثر قليلاً ستلتقي جان. وهي انما جاءت الى تلك البلاد لأجله لا لأجل اي رجل آخر.

ووصلت السيارة الى مطار صغير، فأعانها السائق على النزول منها والصعود الى الطائرة المروحية التي كانت في الانتظار. وسلم السائق السيارة الى مسؤول في المطار جلس وراء المقود. ونظرت دومينيك اليه، فاذا هو رجل في نحو الأربعين من عمره، ذو بشرة قاتمة وعينين زرقاوين.

وسرعان ما اقلعت الطائرة. ولم تكن دومينيك قد استقلت طائرة مروحية من قبل، فشعرت بالاضطراب أول الأمر، ولكنها بعد حين اعتادت على ركوبها بعض الشيء.

وسألت السائق:

- ما اسمك؟

فابتسم وأجاب قائلاً:

- سلفادور يا آنستي.

- وهل عرفته لمدة طويلة؟

- عشرون سنة، وكان السيد سانتوس فتى آنذاك.

وسرها بالرغم عنها، ان تعلم شيئاً اضافياً عنه، عن ذلك الرجل اللغز.

وحاولت ان تتابع الأسئلة من دون ان ينتبه الرجل الى اهتمامها بسانتوس. ولكنه بادرها بالقول:

- جئت الى البرازيل لتتزوجي السيد هاردنغ، اليس كذلك يا آنستي؟

- نعم، هذا صحيح!

فانفرجت اساريره وبدا عليه الارتياح ولكنه نجح في منعها من زيادة الأسئلة، لأن اي سؤال آخر عن سانتوس يعرضها للافتضاح.

وقالت له بلامبالاة:

- هل الرحلة طويلة؟

- انها تستغرق اربعين او خمسين دقيقة... هل انت متشوقة للوصول الى بيلافيستا يا آنستي؟

- طبعاً... أتعرف خطيبي؟

فأجابها باختصار كعادته:

- نعم، اعرفه.

وساد الصمت قليلاً، ثم تابع سلفادور كلامه قائلاً:

- ماذا تعرفين عن بيلافيستا يا آنستي؟

- ماذا تعني؟

- لا شيء بالتحديد... هي مدينة جميلة قائمة بين هذه الجبال، كالوردة بين الأشواك. ففيها عدة بنايات حديثة بنتها الحكومة للعمال، وفيها حدائق عامة وأماكن تثير الاهتمام... وأنا متأكد من انك ستحبين العيش فيها.

- وهل تسكن انت في بيلافيستا يا سلفادور؟

- اسكن حيث يسكن السيد سانتوس... احياناً في بيلافيستا واحياناً اخرى في ريو أو اوروبا... فالسيد سانتوس رجل كثير الشغل يا آنستي.

- هكذا يبدو لي.

ـ لم يكن هذا شأنه من قبل. ولكن السيد سانتوس رجل غامض يصعب فهمه. فهو منذ كان في الخامسة عشرة من عمره يحب الحياة والمغامرة. ولكنه الآن اخذ يدرك ان المغامرات لا تقضي على الانسان، بقدر ما يقضي عليه الناس.

فظهر الاهتمام على وجه دومينيك وهي تقول:

ـ انت مخلص له كثيراً يا سلفادور.

ـ السيد سانتوس اعطاني كل شيء. وله يعود الفضل في ما املكه من معرفة وعمل ومكانة في الحياة، ولا يمكنني ان انسى هذا الفضل يا آنستي!

وبدا لدومينيك ان سلفادور يعتبر سانتوس اكثر من رئيسه في العمل. وخطر لها ان تمتنع عن الذهاب بعيداً في الاهتمام بشؤون لا تعنيها، فتقضي ما تبقى من الرحلة بالتمتع بمناظر الطبيعة.

كانت التلال في ذلك الصباح المشرق تبدو لها من فوق زرقاء يشوبها شيء من السمرة، ثم لا تلبث ان تبدو لها قاتمة مهيبة احياناً، وخضراء وارفة الظلال احياناً اخرى. وكانت الأودية تفيض بالأنهار الجارية التي تنهض على ضفافها هنا وهناك أبنية يتصاعد من بعضها دخان المعامل.

وكانت الطائرة المروحية تشق الأجواء قدماً الى الأمام، حين اخذت دومينيك تتساءل كم ستطول تلك الرحلة. وفجأة بدأ سلفادور يهبط بالطائرة فوق واحة خضراء رأت فيها مدينة بيلافيستا. فاذا هي تعمر بالأبنية الحديثة الشاهقة والحدائق الغناء والمسابح العامة. وشاهدت دومينيك في اقصى طرف من اطراف المدينة مجموعة منعزلة من الأبنية فتراءى لها انها لا بد ان تكون المصفاة التي يعمل فيها جان.

وسرعان ما حط سلفادور بالطائرة على مرج اخضر بعيد عن الطريق العام المؤدي الى المدينة.

وقال لها:

ـ ها نحن وصلنا، وها خطيبك ينتظرك بشوق!

وتطلعت دومينيك فرأت جماعة من الناس حول مهبط الطائرة، ثم لم تلبث ان شاهدت جان. وبدا لها انه تغير كثيراً، فهو الآن ذو لحية كثة وشاربين كثيفين وشعر مرسل على ياقة قميصه. وكان ضخماً عريض

المنكبين، يرتدي سروالاً ازرق اللون تحت قميص برتقالي فاقع، فخيل اليها انه غريب عنها، لم تقع عيناها عليه من قبل.

ونزلت من الطائرة بحذر، يساعدها سلفادور، فاقبل عليها جان يعانقها بشوق ويصيح:

ـ دومينيك! دومينيك! كم انا مشتاق اليك يا دومينيك!

فأفلتت منه بصعوبة وهي تشعر بالحياء امام انظار الواقفين هناك، وفي جملتهم سلفادور الذي اخذ يحدق اليها وعلى وجهه امارات ذهول غريب.

وقالت دومينيك لجان:

ـ جان... بربك دعني التقط أنفاسي!

فتركها جان بعد ان عانقها آخر عناق، واحاطها بذراعه وهو يسير بها نحو سلفادور. وقال له:

ـ شكراً لك يا سلفادور.

ـ لا شكر على الواجب يا سيدي!

ولاحظت دومينيك ان لهجة سلفادور كانت جافة، فحسبت انه، كسيده سانتوس، لا يحب جان ايضاً.

وقادها جان بعيداً الى حيث وقفت سيارته، فألقى الحقيبة في مؤخرة السيارة وقال لدومينيك:

ـ والآن... كيف ترين؟

فهزت دومينيك رأسها ولم تعلم ماذا تجيب. ولكنها تمالكت نفسها وقالت:

ـ لم تسنح لي الفرصة بعد لتكوين اي انطباع... ولكن يبدو لي ان الهواء منعش، وانها لاعجوبة ان توجد مدينة كهذه بين هذه الجبال!

ـ صحيح... وبعد حين ستعتادين على هذا المكان وستحبينه... ويسرني ان اخبرك ان الشركة عرضت علي وظيفة دائمة، وأنا افكر جدياً بقبولها.

فابتسمت دومينيك وقالت له:

ـ هل ستقبل بالفعل؟ ظننت انك ستبقى هنا سنتين فقط.

فأجابها جان وهو يدير محرك السيارة:

www.mlazna.com مرموريـة

ـ هكذا كنت عازماً . . . ولكنهم، كما قلت لك، عرضوا علي وظيفة أفضل. اصبحت احب هذا المكان بعد ان اعتدت على العيش فيه، رغم انه منعزل قليلاً، وان بعض الناس لا يحبونه. ولكن انا احبه واحب ان اشاهد اماكن اخرى في هذه البلاد. ومن رأيي ان نقضي شهر العسل في استكشاف ما امكننا استكشافه من المناطق الريفية الداخلية، فنستأجر ما نحتاج اليه من الخيم والأدوات المطبخية وما الى ذلك.

فحكت دومينيك أنفها وقالت:

ـ ولكنك قلت اننا سنقضي شهر العسل في بيتربوليس .

ـ هذا في الماضي . . . اما الآن، الا تعتقدين ان الأفضل قضاء شهر العسل كما ذكرت؟

فأجابت قائلة بحيرة:

ـ لا ادري.

وقاد جان السيارة الى ضاحية المدينة، فسألته دومينيك:

ـ اين هي شقتك؟

ـ ليست بعيدة من هنا. ولكننا لسنا ذاهبين الى هناك، بل الى بيت رولينغز كما اخبرتك من قبل. وهم دعونا الى تناول طعام الغداء عندهم الآن وستقيمين في ضيافتهم.

وساء دومينيك ان لا تتاح لها فرصة الاختلاء بجان لتتحدث اليه عن الكثير مما يجول في خاطرها. فهو تغير كثيراً عما كان عليه في انكلترا حين التقته. كان هناك شاباً حسن الهندام، حلو المعشر. والآن، وقد اصبح رجلاً آخر، فكيف تتزوجه بعد خمسة اسابيع؟ الا يجب ان تتعرف اليه اكثر؟

وكان بيت رولينغز منفصلاً قائماً بذاته، ولكنه جميل ومتواضع ولا يتصف بالفخامة التي لاحظتها من الجو في المساكن الأخرى. وكان البيت في الداخل عادياً لا يثير الاعجاب، وبعد ان التقت دومينيك السيدة ماريون رولينغز ادركت لماذا.

كانت ماريون امرأة في نحو الخامسة والثلاثين، ذات شعر كستنائي اللون. وكان يمكن ان تبدو حسناء لو لم تكن ترتدي ثياباً غير عصرية تكاد

تصل الى كاحليها.

واستقبلت ماريون دومينيك بغير حماسة، ولكن زوجها هاري عوض عن ذلك بمصافحتها مصافحة حارة وهو ينظر الى جمالها بشعور فيه كثير من الارتباك. وأدركت دومينيك في الحال ان الأسابيع الخمسة التي تفصلها عن حفلة الزواج لن تمضي من دون متاعب.

وكان لآل رولينغز ثلاثة اولاد في سن المراهقة، وهم ابنة في الثالثة عشرة، وابنة اخرى في الرابعة عشرة، وابن في السادسة عشرة. وكانوا جميعاً لطفاء يكثرون الأسئلة عن لندن، ويبعثون الراحة والطمأنينة في قلب دومينيك.

وحول مائدة الطعام، دار الحديث عن مختلف الشؤون. وسألت ماريون دومينيك قائلة:

ـ هل تظنين انك ستحبين هذا المكان؟

فابتسمت دومينيك قائلة:

ـ ارجو ذلك. ويبدو لي انها بلاد تثير الاعجاب، ألا توافقينني؟

فاجابتها ماريون قائلة:

ـ صار لي هنا سبع سنين ولم اتمكن من حبها. فهي بلاد حارة تغص بالذباب والحشرات في الليل. وحين اخبرنا جان انه استدعاك الى هنا للزواج بك، اعتقدت انك لا بد ان تكوني فتاة غبية بلهاء!

فبادرها زوجها هاري بالقول:

ـ لا، لا. ما لك ترسمين للفتاة صورة قبيحة عن هذه البلاد. فأنت لا تحبينها لأنها لا تحتوي على حوانيت عامرة بالسلع الكمالية الممتازة، ولا على من يزين لك شعرك كل خمس دقائق. فلو كان لديك ما تشغلين به وقتك مثل ألس لاتيمر مثلاً . . .

فقاطعته بصوت عال:

ـ اذا كنت تريدني ان اذهب الى الأحياء القذرة لأعتني بأولاد اكثر قذارة، فأنت مخطىء. فلدي افضل من ذلك انفق عليه وقتي . . .

ـ ماذا لديك، مثلاً!

ـ الخياطة . . . التطريز . . . المطالعة . . . .

فهز هاري رأسه وقال ساخراً:

- والواقع انك تنفقين كثيراً من وقتك في تبادل الشائعات مع صديقاتك العجائز من مثيلات تلك السيدة بدلر. فأنت لا تدعين احداً وشأنه!

فأجابته بغيظ:

- لا تنتقدني يا هاري رولينغز! اياك ان تفعل!

ورمق جان دومينيك بنظرة اعتذار، ثم نهض واقفاً وقال:

- حان لنا ان نذهب. اريد ان اري دومينيك الشقة واتحدث اليها ببعض الشؤون التي تهمنا معاً.

فقال هاري مرغماً:

- فليكن!

ونهضت دومينيك من مقعدها وهي متشوقة الى الفرار بأسرع ما يمكن.

وفي السيارة، وهما عائدان الى المدينة، قالت لجان:

- اخبرني يا جان، هل هما الوحيدان اللذان وجدتهما هنا لاستضافتي؟

فأجابها جان بارتباك:

- اظهر هاري استعداده للترحيب بك، فلم اشأ ان ارفض. انا اعرف ان ماريون امرأة مشاكسة، ولكنها امرأة تعبة مرهقة. فهاري ليس رجلاً خفيف الظل كما هو في الظاهر.

- على كل حال، فخمسة اسابيع ليست وقتاً طويلاً...

قالت ذلك وهي تشعر بضيق يستولي عليها. وعجبت من ذلك، خصوصاً وانها التقت جان بعد فراق طويل، وستحقق رغبتها في الزواج به. فماذا تطلب اكثر من ذلك؟

كانت الشقة التي يسكنها جان واسعة رحبة، كما اخبرها. وكانت منيرة مشرقة، فرأت دومينيك ان باستطاعتها ان تجعل منها منزلاً مريحاً حقاً.

وقال لها جان:

- ماريون على استعداد لاعارتك آلة الخياطة لصنع الستائر والأغطية وما الى ذلك...

ثم تابع قائلاً بعد ان حدق اليها لحظة:

- هل انت نادمة على المجيء يا حبيبتي؟

ونظرت الى وجهه فرأت امارات التساؤل والحيرة بادية عليه، فاقبلت تعانقه وتشهق بالبكاء قائلة:

- كلا، كلا!

وفي الأيام التي تلت، تمكنت دومينيك من التأقلم والاعتياد على طريقة الحياة في تلك المدينة، والواقع ان الطقس في تلك الجبال لم يكن حاراً، فلم يزعجها مطلقاً. وسرعان ما اسمرت بشرتها وصار شعرها فاتح اللون قليلاً. وملأت اوقاتها بالعمل في الشقة. وطلبت من جان ان يأتيها بالدهان، فعمدت الى تلوين الجدران بألوانها المحببة اليها. وكانت تتجول من حانوت الى حانوت في البحث عن قماش لتصنع منه الأغطية والمخدات والستائر. وكان جان اشترى بعض الأثاث لغرفة الطعام، فآثرت ان تنتظر الى ما بعد الزواج وشهر العسل لتشتري بقية الأثاث وفقاً للمال المتوافر في صندوقها. وكان في غرفة النوم سرير مزدوج يستعمله جان مؤقتاً، وبعض الكراسي في غرفة الاستقبال. وكان هذا كافياً في البداية.

وفي بيت رولينغز كانت تنام وتتناول طعام الفطور. اما بقية النهار فكانت تقضيه خارج المنزل، لا لأن ماريون لم تكن لطيفة المعشر، بل لأنها لم تشأ ان تزودها بمادة للأحاديث التي كانت تتبادلها مع صديقاتها العجائز.

والتقت دومينيك ثلاثة من هؤلاء الصديقات، فلم يرقن لها. كان همهن الوحيد ان يتداولن التشهير بجيرانهن لأنهم، في نظرهن، لم يتبعوا طريقة الحياة اللائقة بالنسبة اليهن.

واستأنفت دومينيك حياتها العاطفية مع جان، بعد فترة وجيزة من وصولها. وأدركت ان ما جرى من سوء تفاهم بينها وبين جان يقع اللوم فيه عليها. ذلك انها اعتادت، بعد ان فارقها جان، ان تتخذ جميع القرارات بنفسها، من دون ان تترك له مجالاً للسيطرة عليها كما كان يفعل عقب وفاة والدها. ولكنها تمتعت بالعمل على تأثيث الشقة وتزيينها، حتى انها كانت تشعر وهي تطهي الطعام وتعده، ثم تتناوله مع جان، انها اصبحت زوجة له بالفعل.

وكانت الشركة التي يعمل فيها جان توفر للمستخدمين التسهيلات الترفيهية، بما في ذلك الغولف والتنس. وفي الأمسيات كان جان يصطحب

دومينيك الى النادي، حيث يجلسان حول المسبح ويشربان عصير الفاكهة المبرد المنعش ويتحدثان الى الزملاء ونسائهم، فاتيح لدومينيك ان تتعرف الى غير هاري رولينغز وزوجته ماريون.

ولم يمض عليها عشرة ايام حتى برز اسم فنسانتي سانتوس على مسرح حياتها مرة اخرى.

وكانت، منذ وصولها الى بيلافيستا، تعمدت الامتناع عن التحدث عنه مع جان. ولكنها سمعت ماريون وصديقاتها يذكرن اسمه مرة.

كان ذلك في صباح احد الأيام، حين كانت في بيت رولينغز تخيط بعض الستائر بآلة الخياطة التي تملكها ماريون. وكانت النسوة في ضيافة ماريون يحتسين القهوة في الغرفة التي جلست فيها دومينيك. وكانت ماري بدلر هي التي ذكرت اسم سانتوس اولاً، فقالت:

ـ يبدو ان سانتوس عاد الى المدينة، وكان بوب يتحدث اليه في المعمل امس.

فقالت ماريون:

ـ هل كان وحده؟ وهل تطول اقامته هنا هذه المرة؟

فأجابت ماري قائلة:

ـ لا ادري. بوب ذكر ان مجلس الادارة سينعقد في اليومين القادمين. واظن انه جاء لهذه الغاية.

وقالت سوزان هويلر:

ـ ربما... هل التقيت رئيس شركتنا يا دومينيك؟

فتطلعت دومينيك الى فوق، متظاهرة انها لم تكن تصغي الى حديثهن وأجابت متسائلة:

ـ ماذا؟ رئيس شركتكن؟ من تراه يكون؟

وصاحت ماريون:

ـ طبعاً تعرفت اليه... ألم يستقبلك في المطار؟

فأجابتها دومينيك قائلة:

ـ تعنين السيد سانتوس؟

ـ نعم.

وقالت لين ماثيوس:

ـ وكيف يستقبل سانتوس خطيبة جان؟ أليس هو رئيس الشركة؟

فاغتنمت ماريون الفرصة وأخذت تسرد على مسامعهن خبر انهيار الطريق الى ريو، وكيف تلفن جان الى هناك يستنجد بأحد موظفي الشركة للقاء خطيبته في المطار، وكيف صدف ان تلقى سانتوس المكالمة وتطوع بنقل دومينيك بطائرته المروحية.

فقالت لين ماثيوس بدهشة:

ـ وان يكن؟ يبدو لي هذا الأمر غريباً.

ـ صحيح. ولكن سانتوس يتصرف احياناً بغرابة، أليس كذلك؟

فوافقن جميعهن على ذلك. وانصرفت دومينيك الى عملها على أمل ان يكون هذا الحديث انطوى وانتهى. غير ان املها خاب حين سألتها ماريون قائلة:

ـ ما رأيك بسانتوس يا دومينيك؟ هل رافقك هو الى الفندق ام سلفادور؟

ـ هو الذي رافقني.

ـ اذن، ما رأيك فيه؟

وشعرت دومينيك بالضيق من هذا الحديث، فأجابت:

ـ وجدته لطيفاً ومهذباً. وماذا بعد؟

ولم تكتف ماريون بهذا القدر، فقالت:

ـ سمعت ان له شقة فخمة في ريو، وانه يستضيف كل شهر امرأة.

حدقت دومينيك الى ماريون وهمّت بالكلام. غير انها امتنعت عن ذلك لئلا تجر الى الحديث.

وقالت لها ماريون:

ـ المعروف عنه انه زير نساء من الطراز الأول!

فسألتها بانزعاج قائلة:

ـ ولماذا تقولين لي هذا الكلام؟

ففوجئت ماريون بهذا السؤال وأجابت:

ـ لا لشيء، الا لأننا حريصون على مصلحتك!

ـ مصلحتي؟ وما علاقة فنسانتي سانتوس بمصلحتي؟

فتبادل النسوة الأربع النظرات فيما بينهن، وقالت سوزان بابتسامة:

ـ انت امرأة حسناء. وهذا...

فلم تدعها دومينيك تنهي كلامها، بل نهضت وقالت لماريون:

ـ شكراً... سأكمل عملي في وقت آخر.

وخرجت مسرعة من الغرفة واغلقت الباب، ثم أخذت نفساً عميقاً وهي تعجب كيف تقضي هؤلاء النسوة وقتهن بالثرثرة والقيل والقال.

ذهبت الى خارج المنزل وجلست على الشرفة. ثم اشعلت سيكارة وأرخت لخواطرها العنان.

وسرعان ما توقفت عند وجود سانتوس في بيلافيستا، فشعرت بالانزعاج. وتساءلت اذا كانا سيلتقيان، واذا التقيا فماذا ستقول له؟ فلو انها لم تقض السهرة معه، لما تخوفت من لقائه مرة اخرى، ولما شعرت بتبكيت الضمير لخداعها جان.

ونظرت الى ساعة يدها، فاذا بها تشير الى الحادية عشرة. وكان جان سيأتي ويأخذها الى الشقة، ولكن ذلك لن يكون الا حوالى الواحدة. فماذا تفعل في هذه الفترة؟ فهي لا تريد ان تعود الى داخل المنزل وتجلس مع اولئك النسوة، على الرغم من انها تركت فنجان القهوة دون ان تشربه، وهي الآن تحس برغبة في ذلك.

ذهبت الى غرفة نومها وأخذت نظارتيها السوداوين، ثم غيرت هندامها وخرجت في اتجاه التلال.

ولم يكن الطقس حاراً جداً، اذ كان يلطفه نسيم عليل. الا ان شعرها الطويل المرسل على كتفيها كان ثقيلاً، فتساءلت اذا لم يكن من الأفضل ان تقصره.

وتأوهت وهي تتأمل في الطبيعة حولها باهتمام. ووجدت نفسها تتسلق السفح شيئاً فشيئاً، وحين التفتت الى الوراء رأت بيت رولينغز وجداره قابعاً في الأسفل... ووصلت الى مفترق طريقين، احدهما يميل صعداً الى الجبال، والآخر يؤدي نزولاً الى الوادي وعلى مسافة منه نهر جارٍ.

وعزمت على ان تأخذ الطريق الآخر لأنه اسهل وتحف به الأشجار الوارفة. وكان الهدوء يسيطر على المكان، ولكنها لم تتمالك من ان تستعيد الى ذاكرتها ما سمعته من ان البرازيل ملأى بالأفاعي السامة.

ولذلك اسرعت خطاها، ثم لم تلبث ان اشرفت على مجموعة البنايات الشاهقة التي تحيط بها اسوار تعرش عليها الزهور والنباتات.

وتوقفت هناك امام ذلك المشهد الجميل، وخطر لها ان هذا هو المكان الذي يسكن فيه سانتوس. وعلى هذه الخاطرة ادركت انها لا تريد ان تلتقيه مرة ثانية، خصوصاً بعد الكلام الذي تفوهت به ماريون.

وتسلقت المرتفع الى طرف غابة من الأشجار، فسمعت هدير محرك سيارة سرعان ما انعطفت وتوقفت بجانبها. واذا بسانتوس يناديها وينزل من السيارة مبتسماً وهو يقول:

ـ اين كنت؟ قضيت وقتاً طويلاً ابحث عنك.

فصعد الاحمرار الى وجهها وتمتمت قائلة:

ـ تبحث عني؟ وهل ذهبت تسأل عني في بيت رولينغز؟

ـ ولماذا لا؟ اخبرتني ماريون انك ربما ذهبت في نزهة، والا كيف كان لي ان اجدك بمثل هذه السهولة؟

فحدقت اليه قليلاً وصاحت:

ـ يا الهي! لماذا فعلت ذلك؟ وماذا تريد مني؟

فأجابها بلهجة جافة:

ـ هذا ما بدأت اتساءل عنه!

فاقتربت اليه وقالت له:

ـ حسناً. انت عشت هنا وتعرف اي نوع من النساء هي ماريون رولينغز. وستعتبرني امرأة ساقطة لمجرد اني ألقيت نظرة عليك.

فشد فنسانتي على مقود السيارة بعصبية وصمت قليلاً ثم قال:

ـ ولماذا يقلقك هذا الأمر؟ امراعاة لهاردنغ؟

فتأوهت دومينيك وقالت له:

ـ ماذا جاء بك الى هنا؟

www.mlazna.com مرمورية

- جئت لأني اريدك. اصعدي الى السيارة، أود ان اتحدث اليك.

فترددت دومينيك قليلاً، ثم اذعنت الى طلبه كعادتها معه من قبل. ووضع ذراعه خلف مقعدها وأخذت اصابعه تداعب جدائل شعرها ثم قال:

- حسناً. هل غرامك غرام ليلة صيف؟

ولم تستطع دومينيك ان تشعر بالارتياح فسألته قائلة:

- ماذا تعني؟

- اعني غرامك لهاردنغ، طبعا.

- هذا امر لا شأن لك فيه.

- كيف لا؟ اريدك ان تكوني سعيدة.

فنظرت اليه بطرف عينيها وقالت:

- ولماذا تهمك مشاعري؟

فأطبق عينيه قليلاً امام وهج الشمس، فلاحظت كم رموش جفونه طويلة. ثم رفع بيده الأخرى نظارتيها عن عينيها وألقاهما جانباً وهو يتمتم قائلاً:

- الا تعرفين الجواب عن هذا السؤال ايضاً؟

- لا. لا...

وأمسك خصلة من شعرها وراح يلفها حول اصابعه، ثم شدها اليه ببطء وعزم وقال:

- آه، ما اجمل شعرك!

فصاحت به راجية:

- بربك دعني... دعني اعود... اريد ان اعود الى البيت.

- وهل هذا ضروري؟

وأزاح يده قليلاً على جانب كتفها، فشعرت بحرارتها على جلدها. وثارت مشاعرها على نحو لم تعهده من قبل، وتمنت لو انه يستمر هكذا طويلاً.

فتمتمت قائلة:

- فنسانتي... هذا جنون!

- نعم، اليس كذلك؟

ثم راح يداعب ذراعها بأصابعه الصلبة، فيما اخذ يتأمل عنقها ببطء وهو يقول:

- ما اشهى عبيرك يا دومينيك... ضعي ذراعيك حول عنقي.

فصاحت وهي تحول وجهها عنه:

- لا. لا. دعني!

ولكنه غرز اصابعه في شعرها الناعم الكثيف وهو يطبق عليها معانقاً. وحاولت ابعاده، غير ان يديها اصطدمتا بصدره الصلب، فمالتا نحو عنقه عن غير قصد منها. ولم تتمالك عندئذ من التعلق به.

ولم يكن جان عانقها هكذا، بحيث تغرق كما هي الآن في لجة عميقة من العواطف والأحاسيس. وبدا لها ان لفنسانتي سانتوس مشاعر بدائية تخترق كيانها كله.

وفجأة ابعدها عنه وجلس يحدق اليها بعينين ناعستين، فيما اخذت تعيد ترتيب خصائل شعرها.

وقال لها بصوت اجش:

- لا. دعي شعرك كما هو. احبه هكذا. تعالي الآن الى البيت... الى بيتي انا.

وشعرت دومينيك انها يجب ان تقاوم حتى لا تصل الى نقطة اللارجوع. اما فنسانتي فتابع كلامه قائلاً:

- دومينيك لا تخافي. انت تدركين انك تريدين ان تذهبي معي!

فبادرته الى القول:

- كلا. انت مخطىء!

- برهني عن ذلك.

فألقت عليه نظرة زائغة بتأثير ما اجتاحها من عواطف:

- كيف ابرهن لك؟

- تعالي وتغدّي معي...

فصاحت قائلة:

- كلا. كلا.

وفتحت باب السيارة ونزلت منها. وسارت مسرعة في اتجاه بيت رولينغز. وكان الحر شديداً، حتى ان العرق كاد يبلل قميصها. ولكن كان عليها ان تمعن في الهرب مخافة السقوط في التجربة. فهي كانت تدرك، بينها وبين نفسها، انه كان على حق، وانها كانت تريده وتريد الذهاب معه.

والتفتت بعد حين، فرأت السيارة لا تزال واقفة في مكانها، كأنما كان فنسانتي ينتظر ان ترجع اليه.

والذي ارعبها هو انه كان على حق في انتظاره، لأنها بالفعل فكرت في ذلك.

٤ـ الحدود تنهار...

تباطأت دومينيك قبل ان تصل الى بيت رولينغز. ولمحت جان من بعيد جالساً على الشرفة مع هاري وماريون وهم يشربون ويدخنون. وتساءلت اذا كانت ماريون أبدت أية ملاحظة أمام جان عنها وعن فنسانتي سانتوس، وادركت ان من الصعب عليها ان تظهر في حالة طبيعية مع كل تلك الافكار التي كانت تقلقها وتشغل بالها.

وبادرتها ماريون الى القول:

ـ هل تمتعت بنزهتك؟

فاجابت وهي تبتسم ابتسامة باهتة:

ـ نعم شكراً... ما لي اراك عدت باكراً يا جان؟

فسألها جان قائلاً:

ـ هل كنت تركضين يا دومينيك في هذا الحرّ الشديد؟ لم تكوني مضطرة لذلك، فلديك متسع من الوقت.

فاغتنمت فرصتها لتقول له:

ـ لم أكن متأكدة من الوقت... وكنت أنوي تغيير ملابسي قبل ان تعود الى البيت.

ونفضت ماريون رماد سيكارتها وقالت لها:

ـ هل رأيت السيد سانتوس؟

فتطلع جان اليها متسائلاً وقال:

ـ ولماذا كان على دومينيك ان ترى السيد سانتوس؟

فهزت ماريون كتفيها وقالت بابتسامة ساخرة:

ـ سأل عنها هنا، حالما غادرت البيت. وأظن انه كان يريد ان يتأكد منها اذا كان سلفادور أحسن معاملتها عند المجيء بها في الطائرة المروحية.

ونظر جان الى دومينيك قائلاً:

ـ حسناً. هل رأيته؟

ـ نعم رأيته!

ـ وماذا جرى؟

ـ وعلام كل هذا الاهتمام؟

فقال جان بغيظ:

ـ ماذا قال لك؟ لا بد انه أوقف سيارته وتحدث اليك.

ـ نعم، تحدث الي، ولم يسترسل في الحديث، فكل ما اراده هو ان يتأكد من وصولي سالمة، كما قالت ماريون.

فظهر الغضب الشديد على وجهه وهو يقول:

ـ ما هذا يا دومينيك؟ ستجعلينني اضحوكة لدى العاملين في الشركة اذا علموا بذلك.

فوضعت دومينيك يديها على خصرها وقالت:

ـ علموا بماذا؟

ـ اذا علموا بأن سانتوس، بعد وصوله الى هنا، بحث عنك... بربك يا دومينيك اخبريني... هل كان عليك ان تذهبي اليوم في نزهة

دون سائر الأيام؟ فلو كنت هنا في البيت عند مجيئه، لما كان في الأمر أي مأخذ.

وتدخلت ماريون في هذا الحوار لتقول:

ـ دعها وشأنها يا جان! لم ترتكب اي خطأ، ولا هي مسؤولة عن حسنها وجمالها!

وشعرت دومينيك بتوتر شديد في اعصابها، فاتجهت نحو مدخل البيت وهي تقول:

ـ هل بامكاني ان ادخل وأغير ثيابي الآن؟

فاجابها جان قائلاً:

ـ نعم، بامكانك ان تفعلي ذلك، ولكن اياك بعد الآن ان تقتربي منه!

وارادت دومينيك ان ترد على كلامه بقولها انها لم تسعَ وراء سانتوس، بل هو الذي سعى وراءها. غير انها آثرت ان تلزم الصمت. ذلك ان ضميرها كان يؤنبها، ولا يمكنها ان تجادل جان في أمر كان لا يزال يرعبها بثقل وطأته.

وحين خرجت من الحمام، كانت تمكنت من ابعاد كل تفكير في سانتوس عن ذهنها، وتعمدت الاصغاء الى كل ملاحظة أبداها جان، في محاولة لأن تشغل تفكيرها بأي شيء آخر. وسرعان ما استعاد جان مرحه، فيما بقيت نظرات ماريون المتسائلة تعكر صفاء الاجواء. ولم يجد هاري رولينغز ان ما جرى بين دومينيك وسانتوس ما يستحق التوقف عنده. فبدا لدومينيك من موقفه هذا انه جعل نظرية «عش ودع غيرك يعيش» مبرراً لعدم ولائه الزوجي.

وفي الأيام القليلة التالية انصرفت دومينيك الى عملها في الشقة. فأعادت ترتيب غرفة الجلوس ودهنت الجدران باللون الابيض وعلقت عليها بعض اللوحات الفنية التي اتت بها من انكلترا.

ومن اجل ذلك جابت انحاء البلدة وتعرفت الى كل شيء فيها. وأحبّت ما شاهدته فيها باستثناء الاحياء التي كان يسكنها الفقراء. وكان وسط المدينة عامراً بالشوارع العريضة والحدائق والاشجار الوارفة على ضفاف الينابيع والبحيرات. ولم تكن المخازن والحوانيت تحتوي على كل السلع

والحاجيات كما يجب ان تكون، فتسوقت معظم ما تحتاج اليه من السوبرماركت الفخم الذي كان يبيع كل شيء من الابرة الى السيارة. ولم تكن معظم الملابس على الزي الدارج في تلك الايام، فسرها انها كانت تستطيع ان تستعمل آلة الخياطة لصنع الزي الذي تريده.

وكانت المسافة قصيرة بين الشقة وبين وسط المدينة، ولما كان جان يستعمل السيارة لذهابه الى المصفاة، فانها اعتادت على قطع المسافة سيراً على قدميها. وبنتيجة ذلك اسمرت بشرتها فازدادت جمالاً جذب اليه انتباه كل من رآها.

وفي نهاية اسبوعها الثاني في بيلافيستا، عاد جان ذات مساء الى البيت قلقاً، منشغل البال.

فتخوفت دومينيك من ان يكون لما جرى لها مع سانتوس علاقة بذلك القلق وانشغال البال.

وسألت جان وهي تضع على المائدة طعام العشاء:

ـ ما بك؟

فألقى جان بنفسه على كرسيه متهالكاً ونظر اليها قائلاً:

ـ خذي، كيف تفسرين هذا؟

ووضع مغلفاً امامها على المائدة، فتناولته بأصابع مرتجفة وفتحته واخرجت منه بطاقة بيضاء، فقرأتها واذا بها دعوة من فنسانتي سانتوس الى جان واليها لقضاء سهرة في منزله مساء الاثنين...

فنظرت دومينيك الى جان وقالت:

ـ وماذا في الأمر؟ انها مجرد دعوة...

فنهض واقفاً على قدميه وصاح غاضباً:

ـ مجرد دعوة؟ أهكذا تقولين يا دومينيك؟

فاجابته بصوت عال:

ـ وما علاقتي انا بهذه الدعوة؟

ـ صحيح؟ لم يسبق ان دعاني سانتوس الى سهرة في منزله، فلماذا دعاني اليوم؟

فانتاب دومينيك شعور من القرف وقالت:

ـ وهل تعتقد انه دعاك اليوم لأجلي؟

ـ لأجل من اذن؟ اخبريني يا دومينيك، ماذا بينك وبينه؟

ـ بيننا؟ أكاد لا أعرف الرجل...

قالت ذلك وصلّت الى الله في قلبها ان يغفر لها هذا الكذب. واخذ جان يذرع الغرفة ذهاباً وايابا، ثم التفت اليها قائلاً:

ـ هذا يجعلني اقرر ان لا اقبل أية وظيفة دائمة في هذا المكان!

فقالت له بتردد:

ـ جان! في وسعنا ان نرفض الدعوة!

ـ كيف لنا ان نرفضها؟ لا تكوني ساذجة يا دومينيك... لا تنسي ان سانتوس رئيس مجلس ادارة الشركة.

فحدقت اليه دومينيك وقالت:

ـ ولكن حين سألتك اذا كان هو رئيسك اجبتني كلا!

ـ هذا صحيح. هو ليس رئيسي على نحو ما. السيد ريفاس يقوم عملياً بادارة الشركة، واما سانتوس فيتولى الادارة ساعة يشاء... وعلى كل حال، فهو يملك شركات اخرى في هذه البلاد، ولا يمكنه ان ينفق كل وقته في شركة واحدة!

ـ ولكن... لماذا لا يمكننا ان نرفض دعوته؟

ـ آه يا دومينيك، الا تفهمين؟ هذه ليست دعوة عادية، انها استدعاء! فلا احد، لا احد على الاطلاق، يرفض دعوة سانتوس!

فقالت دومينيك بحزم:

ـ ولكننا نحن سنرفض! فأنا لست خائفة منه.

غير انها وهي تتلفظ بهذا الكلام لم تكن تصدقه... كانت بالفعل خائفة منه، او بالاحرى خائفة من ردة فعله الذي ينعكس عليها.

وهنا شعر جان بالارتياح وقال لها:

ـ ظننت انك تتوقين الى حضور السهرة.

فقالت متأوهة:

ـ لا. لست تائقة الى حضورها.

فتابع كلامه بشيء من الغيظ:

ـ لست تائقة؟ ومع ذلك يجب ان نذهب. قد لا يكون الأمر على مثل هذه الدرجة من السوء. فطالما تمنيت ان ارى قصره من الداخل.

فحدقت اليه دومينيك قائلة:

ـ ولكننا لا نستطيع الذهاب يا جان!

ـ ولماذا لا؟

ـ منذ لحظة كنت تشتم وتلعن لأنك مضطر الى الذهاب، والآن تقول انك ذاهب... فلماذا؟ هل انت خائف منه؟

ـ كلا. ولكنه، رغم كل شيء، هو صاحب الكلمة المسموعة.

وحولت دومينيك وجهها عنه، غير قادرة على النظر اليه. وشعرت بالمرارة والحيرة. هما سيذهبان، وسانتوس يعرف انهما مجبران على اطاعة اوامره. وتساءلت لماذا يفعل هذا؟ ألانه يريد ان يعذبها؟

جلس جان حول المائدة واخذ يأكل طعامه بنهم. ثم قال:

ـ يسرني انك لست معجبة به يا دومينيك. وكان علي ان ادرك انك لست كسائر النساء. فمعظمهن على استعداد للتضحية بالغالي والنفيس لالقاء نظرة على ما في داخل قصره.

وفي يوم السهرة التي اثارت بعض التساؤلات لدى اصدقاء جان وزملائه، قضت دومينيك بعض الوقت في اعادة النظر في الملابس التي في خزانتها. كانت كلها ملابس عادية. ففي انكلترا كل شيء يصلح هنداماً للسهرة، بخلاف ما هو مألوف في هذه البلاد. وفي آخر الأمر وقع اختيارها على فستان رائع الجمال، اسود اللون، بسيط المظهر، مطرز بخيوط ذهبية، قد لا يبدو انه ملائم تماماً للمناسبة. ولكنها خشيت ان يحسب سانتوس انها ارتدته للفوز باعجابه.

وسمعت طرقاً على باب غرفتها، وقبل ان تهم بفتحه دخلت ماريون. وكم كانت دهشتها عظيمة حين وقع نظرها على الفستان وهو ممدد على السرير، فقالت باعجاب:

ـ يا الهي! أهذا ما تنوين ان تلبسيه الليلة؟

فاجابت دومينيك قائلة:

ـ نعم. هل تظنين انه يناسب المقام؟

فتفحصته ماريون بامعان وقالت:

ـ انه قصير قليلاً، على ما يبدو لي.

ـ كل الملابس قصيرة في انكلترا هذه الايام. وهذا كل ما لدي حتى الآن من الملابس!

ـ على كل حال، لن يسمح لك جان بعد الزواج بارتداء فساتين قصيرة الى هذا الحد...

فقطبت دومينيك جبينها وهي تسألها قائلة:

ـ ماذا تعنين؟

ـ اعني ان لا رجل على شيء من الرجولة يسمح بأن ترتدي زوجته ملابس قصيرة تجذب انتباه الناس، خصوصاً امثال فنسانتي سانتوس!

وعضت دومينيك على شفتها وقالت لها بلطف:

ـ هل جئت تطلبين حاجة يا ماريون؟

ـ لا شيء بنوع خاص. أردت ان احادثك ولا شيء آخر... اخبريني يا دومينيك، ماذا حدث بالفعل يوم جاء سانتوس الى هنا يبحث عنك؟ هل علمت انه سيجيء؟

فابتعدت دومينيك عنها قليلاً وقالت:

ـ كلا. أما اخبرتك ما حدث ذلك اليوم؟

ـ اخبرت جان ولكنك لم تخبريني. انا لا اصدق ما يقال عن ان سانتوس يتوخى لك الخير والسلامة... وهو لم يأت الى هنا لأجل هذه الغاية... ما من احد يعرف فنسانتي سانتوس اكثر مني.

فالتفتت اليها دومينيك وقالت:

ـ هذه هي المسألة... انت لا تعرفينه على الاطلاق، وانما تعرفين الشائعات التي تطلق عنه.

فنظرت ماريون اليها بدهشة شديدة وقالت:

ـ وهل أنت تعرفينه جيداً وتعلمين عنه كل شيء؟

ـ انا لم أدع ذلك. كل ما قلته هو انك لا تعلمين عنه شيئاً ولا تعرفينه على الاطلاق.

ـ ولكن كيف لك ان تحكمي في هذا الأمر، الا عن خبرة لك معه!

www.mlazna.com مرموريـة

وثار غضب دومينيك لهذا الكلام وصاحت بها:

- أرجوك ان تخرجي من هنا... أريد ان اغسل شعري.

وحاولت ماريون ان تسترسل في الكلام، ولكنها حين سمعت صوت أولادها عائدين من المدرسة، حملقت في دومينيك قليلاً بغضب وخرجت من الغرفة وصفقت الباب وراءها.

وبعد خروجها، استندت دومينيك الى الحائط لتلتقط انفاسها. وتمنت لو ان للغرفة مفتاحاً لتتأكد من ان احداً لن يزعجها بالدخول دون استئذان كما دخلت ماريون. ثم سارعت نحو الحمام وبدأت تغسل شعرها. كان هنالك شهران بعد لحفلة زواجها، فهل تستطيع التعايش مع ماريون الى ذلك الحين؟

وبعد الظهر، جففت دومينيك شعرها جيداً وأخذت تصففه استعداداً للسهرة. وفي هذه الاثناء سمعت بعودة جان، فنادت قائلة:

- انتظر قليلاً، ريثما اصبح جاهزة.

ثم اسرعت في تصفيف شعرها وارتداء ملابسها. ونظرت الى نفسها بالمرآة، فاذا هي هيفاء القامة، مترفة الهندام. واكتفت بقرطين من اللؤلؤ في اذنيها، فيما تركت عنقها خالياً، لأن الفستان كان ذا ياقة عالية.

ولبس جان بزة رسمية لأول مرة منذ وصوله الى البرازيل، فبدا فارع القامة، عريض المنكبين، وسيم الطلعة. وحسبت دومينيك ان لحيته اضافت ملامح الرجولة الى قيافته، وتمنت ان تبقى مسيطرة على اعصابها في السهرة كما هي الآن.

وقال جان بحماسة حين وقع نظره عليها:

- تبدين رائعة! أليس كذلك يا هاري؟

فهتف هاري قائلاً:

- يا الهي! ليتني كنت مدعواً الى السهرة.. فمن يا ترى سيكون هناك؟

فقال جان:

- من المؤكد ان يكون هناك ريفاس وزوجته على الأقل.

وقال هاري:

- اتمنى لكما سهرة ممتعة يا عزيزي... ماذا تقولين يا ماريون؟

فاجابت بلامبالاة قائلة:

- فيما يخصني، فانا لا اريد ان اشارك ذلك الرجل طعامه!

وقاد جان سيارته، ودومينيك الى جانبه، في اتجاه المدينة. وظهر العبوس على وجه دومينيك وهي تسأله قائلة:

- اين نحن ذاهبان؟

- الى قصر مينا تيرا.

- أليس هو هناك؟

واشارت نحو الطريق التي سارت فيها البارحة. فقال جان:

- تعنين قصر سانتوس؟ لا، فهو ليس مثل سائر المساكن. انتظري ترين العجب، على الرغم من الظلام المخيم هناك!

وخرجت السيارة من تحت الاضواء وشقت طريقها نحو الجبال، حيث الاشجار الباسقة على جانبي الطريق. وكان منظر الطبيعة مهيباً، ولكن دومينيك كانت مشغولة بالثبات في مقعدها عن التمتع بذلك المنظر.

ثم لم تلبث السيارة ان وصلت الى سهل مرتفع يشرف على القصر، فلما رأته دومينيك شهقت من شدة الاعجاب، اذ كان منزلا صغيراً أبيض اللون وسط الانوار الساطعة والاشجار الوارفة. وكان محاطاً بسور عال، غير ان البوابة العالية الشاهقة كانت مفتوحة على مصاريعها، بحيث تمكنت دومينيك من رؤية بعض السيارات واقفة في داخلها.

ودخل جان في الباب الرئيسي المؤدي الى الباحة الخارجية التي كانت تعمر بالزهور والرياحين، حول ينابيع فوارة ترسل مياهها رذاذاً على ما حولها.

وخرجت دومينيك من السيارة دون ان تنتظر جان وعبرت حائطاً واطئاً على جانب الباحة ونظرت وراءها بدهشة شديدة، اذ وجدت نفسها امام هوة سحيقة تنحدر الى الوادي، حيث اضواء بيلافيستا تشعشع هانئة ناعسة. ولحق بها جان وأخذ يعرب عن دهشته هو أيضاً بذلك المشهد العجيب. وقال لها:

- كل هذه الانحاء التي على مد النظر هي ملك سانتوس. فهو لا يطيق ان يفسد أحد عليه عزلته الا حين يشاء.

وقالت دومينيك:

ـ دعنا ندخل.

وفي الحال ظهر سلفادور وهو يرتدي ثياب السهرة، فحياها بترحاب. وقال له جان:

ـ هل تخبر السيد سانتوس اننا هنا؟

وشعرت دومينيك ان شيئاً ما يختلج في احشائها، فتمنت لو امكنها ان تعود راكضة، من حيث أتت، هربا من ذلك الشيء الذي يغريها بالبقاء. ولكنها تمالكت نفسها، وحين اشار اليهما سلفادور بأن يتبعاه، فعلت ذلك بطيبة خاطر.

فعبروا الشرفة ودخلوا الى البيت، فوجدوا انفسهم في بهو طويل واطىء، اثاثه ازرق وأخضر فاتح اللون، وستائره من الحرير الفاخر. ثم خرجوا من البهو الطويل الى شرفة في آخره، حيث كان سانتوس يسامر ضيوفه.

وكانت هذه الشرفة مضاءة بأنوار خفية وتطل على الوادي. وكان الى جانبها حدائق غناء ومسبح تعلوه عرائش من الزهور.

وحين أطل جان ودومينيك استأذن سانتوس من ضيوفه وأقبل للترحيب بهما. كان يرتدي بزة قاتمة من الكتان جعلت ملامح وجهه غريبة، مع ان بعض ضيوفه لا يقلون عنه وسامة في الهندام. وكانت قامته النحيلة الفارعة تفضح قامة جان المترهلة بعض الشيء.

وقال سانتوس:

ـ أهلاً بك يا هاردنغ. يسرني انك استطعت المجيء مصحوباً بخطيبتك الرائعة الجمال.

ارتبك جان وتمتم بصعوبة قائلاً:

ـ شكراً على دعوتك لنا يا سيدي... يا له من بيت جميل، بيتك هذا!

فاجاب سانتوس وهو ينظر الى دومينيك:

ـ نعم، انه جميل... كيف حالك هذه الليلة يا آنسة مالوروي؟ عسى ان تكوني في احسن حال.

ـ شكراً يا سيد سانتوس.

فابتسم سانتوس ونادى كلوديا قائلاً:

ـ تعالي الى هنا يا كلوديا لأقدم لك السيد هاردنغ والآنسة مالوروي.

فجاءت الفتاة، وكانت اصغر سناً من دومينيك، وقالت:

ـ ها انا يا فنسانتي.

ـ ارجوك ان تعرفي السيد هاردنغ الى الضيوف، فيما اتولى انا هذه المهمة مع الآنسة مالوروي.

وأحست دومينيك باستياء جان من هذا التدبير، ولكن لم يكن لها ولا له حيلة في الأمر. فسارت كلوديا برفقة جان، بينما بقيت دومينيك مع سانتوس.

ولم يشأ سانتوس ان يزيد في احراجها، فامسك ذراعها باصابعه وقادها نحو جماعة من الضيوف وبدأ بتقديمها اليهم. وكان هناك نحو عشرين ضيفاً، فاختلطت اسماؤهم في ذهن دومينيك حتى لم تعد تتذكر شيئاً منها، ما عدا فريدريك ريفاس وزوجته أليسيا. وتمكنت من حمل نفسها على التحدث الى كل من يبادلها الحديث. وكان فنسانتي مرتاحاً للبقاء في الظل، يراقبها ويراقب الأثر الذي تتركه في نفوس ضيوفه.

وكان لا بد ان ينجذب اليها الضيوف من الرجال. فهي لم تكن جذابة وحسب، وانما كانت تتحلى بروح النكتة وطلاوة الحديث. وفوجئت بأنها لم تشعر بالغربة في ذلك الجو كما كانت تتوقع.

وأعلن عن ان الطعام اصبح جاهزاً، فتوافد الضيوف الى غرفة الطعام، حيث امتدت مائدة كبيرة وغنية بجميع انواع المآكل والمشرب. وكان هواء الغرفة مكيفاً بمروحة ضخمة تنشر في الاجواء نسيماً مبرداً.

واجلست دومينيك على يسار صاحب الدعوة، بينما اجلست الفتاة كلوديا على يمينه. وجلس جان بعيداً مع سائر المدعوين. وحين ألقت دومينيك نظرة اعجاب على ترتيب المائدة، بدا الارتياح على وجه سانتوس.

على ان دومينيك لم تكن تلاحظ تماماً ما كانت تتناوله من طعام. ذلك انها ادركت ان سانتوس تعمد ابعادها عن جان، ليس جغرافياً وحسب، بل اكثر من ذلك. وهذا ما جعلها تشعر بمزيج من الغضب والخيبة. أما الغضب فلأنه لم يكن على حق في ذلك، واما الخيبة فلأنها، على الرغم من

كل شيء، لا تزال متعلقة به.

وكانت كلوديا غارقة في الحديث مع الشاب الذي على يمينها، فاحنى فنسانتي رأسه نحو دومينيك وتمتم قائلاً:

ـ انت آية في الجمال هذه الليلة، هل هذا كله لأجل هاردنغ؟

وزمت دومينيك شفتيها قليلاً، ثم همست قائلة:

ـ لماذا فعلت كل هذا؟

ـ ماذا تعنين؟

ـ انت تعرف ما أعني.

فابتسم لها وقال:

ـ لا اعرف... اخبريني!

وأبت دومينيك ان تنظر اليه، بل اكتفت بالقول:

ـ انت رجل حقير!

ـ لا اظنك جادة في ما تقولين...

ـ جان غاضب، وانت تعلم ذلك. وهو يشك في ان هناك غاية من وراء هذه الدعوة.

ـ هذا صحيح...

وتطلعت دومينيك نحو جان وابتسمت، ولكن جان بادلها الابتسامة بالعبوس. فعضت على شفتها ونظرت الى طعامها، فيما بدأت اعصابها تتوتر.

وانهى فنسانتي ما كان امامه من طعام، ثم التفت الى دومينيك قائلاً بصوت منخفض:

ـ تحدثي الي... احب ان اسمع صوتك.

فهزت رأسها وقالت:

ـ بربك، دعني وشأني!

ـ هل تريدين في الحقيقة ان ادعك وشأنك؟

ـ أليس هذا واضحاً؟

ـ كلا. بل الواضح انني ازعجك على قدر ما أنت تزعجينني.

فاجابت بمرارة قائلة:

ـ سمعتك تكاد لا تشرفك...

ـ وهل تصدقين كل ما تسمعينه عني؟

ـ ماذا تعني؟

ـ لا شيء. دعينا من هذا الحديث!

ـ اظن انك تتمتع بايقاعي في شراكك.

ـ وماذا تريدين ان افعل غير ذلك؟

ـ ان تدعني وشأني، كما قلت لك!

ـ واذا فعلت، الا تعترضين؟

ـ طبعاً لا!

فابتسم قائلاً:

ـ قد لا تعترضين، ولكنك ستغارين!

ـ أغار؟ هذا هراء!

فاسند ظهره الى كرسيه وقال:

ـ سترين...

وتجاهلها الى نهاية المأدبة، فشعرت دومينيك بالارتياح مع انها لم تنكر ان رفقته تثير المشاعر، بخلاف سائر الرجال.

ونهض المدعوون عن المائدة وخرجوا الى البهو الذي عبرته دومينيك عند دخولها. وكانت السجاجيد رفعت استعداداً للرقص على الانغام الحالمة التي كانت تملأ الأجواء.

وأقبل جان نحو خطيبته وقادها الى الشرفة وقال لها:

ـ ماذا جرى بينكما؟ وما الحكمة من الجلوس على يمين سانتوس؟

فأجابته بفارغ صبر:

ـ انا لم اختر الجلوس هناك يا جان، وأنت تعلم ذلك. فلعل رئيسك الوسيم يحب ان يحاط بالنساء!

ـ هذا صحيح...

ثم أضاف غاضباً:

ـ ماذا اتى بنا الى هنا يا دومينيك...

فاجابته قائلة باختصار:

ـ دعنا من هذا الامر الآن. . . كنت تواقاً الى رؤية قصره من الداخل، وها انت رأيته!

ـ نعم. ويا له من مكان رائع!

فقالت وهي تدرك ان الآخرين بدأوا ينظرون اليهما:

ـ قلت هذا الكلام من قبل. اسمع يا جان، دعنا نرثي لحالنا بعد الانتهاء من هذه السهرة. واذا قيّض لنا ان ننفصل مرة اخرى، فعليك ان تتذكر ان لكل يوم عدداً معيناً من الساعات، وهي لا تدوم الى الأبد!

وفيما هي تقول هذا الكلام، كانت تدرك ان رغبتها في مغادرة السهرة لم تكن بقدر رغبته.

وبدأ الرقص، فعادا الى البهو. وتطلعت دومينيك حولها تبحث، على غير وعي منها، عن فنسانتي سانتوس.

ولم تلبث ان رأته يراقص كلوديا. كانت ذراعاها تطوقان عنقه. واعترفت دومينيك، بينها وبين نفسها، انهما يليقان واحدهما بالآخر. غير ان شيئاً ما في داخلها كان يعمل على تمزيقها. أهذه هي الغيرة؟ ولماذا تغار، كما قال لها سانتوس ولم تصدقه؟

والتفتت الى جان وقالت له:

ـ دعنا نعود الى الشرفة ونتمتع بمشهد الطبيعة الساحر!

وكان جان هادىء الاعصاب، فجلسا على الشرفة يتحدثان عن الاصلاحات التي تنوي دومينيك ان تجريها في الشقة. ثم اقبل ريفاس وزوجته اليهما.

وقال ريفاس لدومينيك:

ـ يبدو انك مرتاحة هنا. انه لمنزل رائع. . . وهذا المشهد أيضاً!

فابتسمت دومينيك قائلة:

ـ نعم، انه يفوق الوصف، ولا بد انك قمت بزيارته في ضوء النهار.

فأجابها ريفاس:

ـ نعم. في النهار يمكن مشاهدة التلال في كل ناحية. ولطالما خيل الي ان فنسانتي كالنسر في وكره.

وابتسم، حتى جان، لهذا التشبيه. ثم دار الحديث دورته العادية. وكانت أليسيا صريحة حلوة المعشر، بخلاف ماريون رولينغز، فاعجبت بها دومينيك. وسألتها قائلة:

ـ هل لكما أولاد؟

ـ ولد واحد فقط، وكنا نريد أكثر. رودريكو في الرابعة عشرة الآن، وهو في مدرسة داخلية في الولايات المتحدة الاميركية.

ـ ألا تفتقدانه كثيراً؟

ـ بالطبع. ولكني أملأ أيامي بسهولة. ففي بيلافيستا كثير مما استطيع ان اعمله. هل تحبين السباحة يا آنسة مالوروي؟

ـ نعم.

ـ اذن، ليتك تأتين الى مسبحنا الخاص ساعة تشائين. فرفقتك تسرني، وسنكون جيراناً عما قريب، أليس كذلك؟

فوافقت دومينيك على كلامها. ثم ظهر سلفادور وقال:

ـ هل السيد سانتوس هنا؟

فاجابه ريفاس:

ـ كلا يا سلفادور. كان مع كلوديا، وسرعان ما تواريا عن الانظار!

وتطلع سلفادور نحو دومينيك، ثم قال لريفاس:

ـ شكراً يا سيدي.

وعاد سلفادور الى الداخل، فيما اخذت دومينيك تتساءل هل جاء ليسأل هذا السؤال عن قصد ليثير غيرتها؟

وشعرت ان اعصابها تعود للتوتر. اين هو فنسانتي الآن؟ هل كان مع كلوديا؟ وما دور هذه الفتاة في حياته؟

وحين ظهر فنسانتي في الباب أحست بالانفراج وتنفست الصعداء. وأقبل فنسانتي نحو الشرفة وهو يشق طريقه بين المدعوين ويلاطفهم. وعند وصوله، حدق قليلاً الى دومينيك فداخلها شيء من الارتباك.

وقال لهم:

ـ هل انتم على ما تشتهون يا اصدقائي؟

www.mlazna.com مرمورية

فاجابه ريفاس مبتسماً:
ـ كيف لا يا فنسانتي. الطعام كان لذيذاً كالعادة.
ـ يسرني ان اسمع ذلك.
ثم التفت الى دومينيك وقال:
ـ هل ترقصين معي يا آنسة مالوروي؟
فنظرت دومينيك الى جان واجابت قائلة:
ـ افضل ان لا افعل.
فهتف قائلاً:
ـ يجب ان تفعلي... انا مضيفك ولي الحق ان آمرك بذلك.
فقالت لها أليسيا مبتسمة:
ـ عليك ان تقبلي. فنسانتي لا يرد له طلب كهذا!
فترددت دومينيك قليلاً، ثم نهضت وسمحت لفنسانتي ان يقودها الى حلبة الرقص.
وفي الحلبة التي قلّ فيها الراقصون، شدها اليه بذراعين قويتين، فقالت له باحتجاج ويداها على صدره:
ـ هذه ليست الطريقة العادية المألوفة للمراقصة!
فأجابها وهو يداعب شعرها:
ـ انا لست رجلاً عادياً مألوفاً ايضاً. آه يا دومينيك، انت فاتنتي!
فتمتمت دون ان تحاول تجنب مناداته باسمه الأول:
ـ فنسانتي... قد يكون جان يراقبنا؟
ـ أتعتقدين اني اخاف من السيد هاردنغ؟
ـ كلا. بل أنا أخاف.
ـ وكيف تخافين وانت آمنة بين ذراعيّ؟ لعلك الآن ترغبين ان اعانقك.
فترجته ان لا يفعل، ولكنه ضحك وقال:
ـ انت اكثر رغبة الآن من اي وقت مضى، خصوصاً بعد ان رأيتني اراقص كلوديا.

فنظرت اليه بكبرياء وقالت:
ـ لا علاقة لي بشؤونك الخاصة!
ـ وكيف لا يا دومينيك؟
وفيما هو يراقصها، صاحت به بصوت هادىء:
ـ لا يحق لك ان تتكلم هكذا، بعدما كنت منذ قليل...
فقاطعها قائلاً:
ـ كنت ماذا منذ قليل؟
ـ كنت متوارياً مع كلوديا عن الانظار.
ـ وهل تظنين اني كنت اغازل كلوديا؟
ـ هذا واضح، أليس كذلك؟ اما قلت انك ستحاول ان تثير غيرتي؟
فاحنى رأسه على صفحة عنقها قائلاً:
ـ كلوديا هناك... الا ترينها؟ هي مع جوزي بيانكا مدير اعمالي.
فابعدت دومينيك عنقها عنه وقالت:
ـ أما كنت تغازلها؟
ـ كلا. هناك امرأة واحدة اريد ان اغازلها وهي أنت.
وهنا بدأت دومينيك تتنفس بصعوبة، ولكنها استطاعت ان تتمتم قائلة:
ـ اذن، انت دعوتنا هذه الليلة بسبب ما جرى بيننا في صباح ذلك اليوم؟
ـ نعم ولا. اردت ان اراك ثانية قبل صباح ذلك اليوم... أي منذ ان وقع نظري عليك في المطار.
وتطلعت دومينيك حولها فلم تجد احداً، فقالت باحتجاج:
ـ يجب الآن ان اعود الى جان.
فأفلتها فنسانتي قليلاً وقال لها:
ـ تعالي معي... اريد ان احادثك على حدة.
ـ لا، لا تفعل ذلك.

فأصر على طلبه، فلم تستطع ان تقاوم. وقادها بيدها الى رواق واسع، حيث ظهر سلفادور من أحد ابوابه، فشاهدهما وأقبل نحوهما قائلاً لفنسانتي:

ـ هل تريد شيئاً يا سيدي؟

ـ أريد ان لا يزعجنا أحد.

فانحنى سلفادور واستدار متجهاً الى حيث اتى.

٥ ـ اكبر خطوة في حياتها...

كان ظهور سلفادور مفاجأة عنيفة لدومينيك. ماذا سيظن بها وهو يعلم انها مخطوبة لجان؟ هل كان يعتقد ان خضوعها لفنسانتي سانتوس امر متوقع؟ وهل شهد مثل هذه الحالة مراراً من قبل؟ واستولى عليها الخجل والحياء.

نزعت يدها من يد فنسانتي وسارت نحو احدى المزهريات ورفعتها لتتأملها. كانت ازهارها عطرة وألوانها ارجوانية مخططة بالأسود. وأدركت انها ترتجف، مما اثار غضبها واستياءها من نفسها.

وجالت بنظرها في الرواق تبحث على غير وعي منها، عن مهرب. وحانت منها التفاتة فرأت سلماً يصعد الى الطبقة العليا. وخيل اليها ان فنسانتي سيصعد بها ذلك السلم، فهو بالفعل وقف عنده واتكأ على جانبه

يراقبها بنظرات هادئة.

وقال لها:

- كم عمرك يا دومينيك؟

فعضت على شفتها وأجابت:

- اثنتان وعشرون سنة.

- اثنتان وعشرون؟ هذا لا يصدق!

فاستدارت دومينيك نحوه وقالت بغضب:

- لماذا؟ الأنني اتحلى بشيء من حسن السلوك، فلا ارتمي بين ذراعيك؟

فأجابها مبتسماً:

- افكارك عتيقة كمشاعرك المكبوتة.

- هذا يسرني!

- وهاردنغ؟ كيف ترينه؟

- ماذا تعني؟

- اعني هل تحسبينه كسائر الرجال؟ ام لا تزالين تعتقدين انه منزه من أية شائنة؟

فظهر العبوس على وجه دومينيك وأجابت:

- لا افهم ما تقول.

- الا تفهمين؟ اردت ان اسألك هل تعتقدين ان خطيبك هاردنغ اخلص العشاق؟

- جان لا يبالي بالنساء ولا يلاحقهن مثلك.

فتجهم وجه فنسانتي وقال:

- يا الهي! انت لا تعرفين اي نوع من الرجال انا!

فحدقت اليه وقالت:

- نعم، اعرف. وهو امر واضح!

- هل هو واضح حقاً؟

فاستشاطت غضباً وصاحت قائلة:

- لماذا لا تريد ان تفهم انني لا اطيق ان يكون لي بك اية علاقة؟

فقبض فنسانتي على كتفيها بشدة ونهرها قائلاً:

- كفي عن مثل هذا الكلام السخيف. انت تعلمين ان هنالك ما يجمع بيننا، والا لماذا ترتجفين تحت يديّ؟

كان ظهرها يستند الى الجدار وهو يواجهها. وأدركت انها لو استسلمت اليه الآن لفقدت كل شيء. كانت تريد ان تترك نفسها وتضمه بعنف وتعانقه، ولكنها لم تجرؤ. وما ذلك الا لأنها لم تثق بحسن نواياه نحوها.

وفاجأته على حين غرة ودفعته عنها بشدة حتى كاد يسقط. وفيما هو يستعيد اتزانه، اغتنمت الفرصة واتجهت نحو الباب الذي حسبته يؤدي الى الشرفة. غير انها وجدت نفسها في الحديقة، في مكان تجهله ويخيم عليه الظلام.

وتوقفت غير انه لم يكن لديها وقت تضيعه. فاندفعت الى الأمام عساها تصل الى مكان تغمره انوار الشرفة، فيتعذر على فنسانتي ان يلحق بها امام انظار الضيوف. وفيما هي تسارع الخطى ارسلت صرخة داوية، اذ سقطت في بركة من الماء البارد وأخذت تغرق. غير انها استطاعت ان تعوم على وجه الماء وتتجه نحو الضفة.

وسمعت اصوات القادمين لنجدتها وهم في هرج ومرج. ولكن قبل ان يصلوا اليها، شعرت بيد تمسكها بكتفيها بقسوة وتنتشلها من الماء، وصوت فنسانتي يناديها قائلاً:

- دومينيك! يا الهي، هل انت بخير؟

نظرت دومينيك اليه وصاحت قائلة:

- فنسانتي...

ثم جاء بعض الضيوف وأحاطوا بهما. وسمعت جان يقول لها:

- دومينيك... ماذا كنت تفعلين؟

فأجابته دومينيك قائلة:

- وقعت في البركة يا جان. واللوم يقع علي وحدي.

نظر جان الى فنسانتي وسأله قائلاً:

- هل يليق بك هذا؟

فأجابه فنسانتي بهدوء:

ـ اما سمعت ما قالته الآنسة مالوروي؟ اللوم يقع عليها وحدها. والآن ارجوكم ايها الأصدقاء ان تعودوا جميعاً الى الشرفة. كان هذا حادثاً مؤسفاً، ولكن الآنسة مالوروي تحتاج الى تبديل ثيابها وتجفيف شعرها، وسلفادور سيهتم بالأمر... أليس كذلك يا سلفادور؟

غير ان جان بدا مضطرباً وهو يقول لدومينيك:

ـ بربك يا دومينيك! كيف سمحت لنفسك ان تفعلي ما فعلت؟

وقال له فنسانتي ببرودة:

ـ ليس الآن وقت العتاب يا هاردنغ... يمكنك الانتظار.

وحاول جان ان يسترسل في الكلام، غير ان ريفاس امسكه بذراعه وقال له:

ـ تعال. لم يلحق بها اي اذى. سنعرف التفاصيل فيما بعد... وأنت يا فنسانتي الا تأتي معنا؟

وتطلع فنسانتي الى دومينيك، ثم قال لسلفادور:

ـ اهتم بها جيداً يا سلفادور.

فقالت كلوديا وهي تمسك ذراع فنسانتي:

ـ لا تقلق يا حبيبي... سيهتم بها كل الاهتمام. اما الآن، فتعال وتحدث معي... لم ارك الا قليلاً هذه الليلة.

تبعت دومينيك سلفادور الى داخل البيت وهي تشعر بالعياء والغضب على نفسها. فهي لم تثر استياء فنسانتي لتصرفها الأحمق فقط، بل جذبت انتباه جان ايضاً الى شيء كان يجب ان لا يحدث. ماذا سيكون رأيه يا ترى؟ خصوصاً ان في ما جرى ما لا تستطيع ان تدافع عنه أو تبرره.

وسار بها سلفادور الى الرواق، ثم صعوداً على السلم الذي ظنت دومينيك انه يؤدي الى غرف النوم، فاذا ظنها في محله. كان جناحاً فخماً يحتوي على عدة غرف للاستراحة والنوم، وكلها تأخذ بمجامع القلوب.

وأشار سلفادور الى باب في آخر الممر وقال لها:

ـ هذا الباب ينفتح على غرفة نوم هي جزء من الجناح، فاذا دخلته بعد الحمام ستجدين ما تريدينه.

فشكرته دومينيك واعتذرت على ما سببته من ازعاج، فأجابها قائلاً

بعطف زائد:

ـ لا شكر على الواجب.

ثم انحنى لها وتركها وشأنها.

دخلت دومينيك غرفة الحمام وبعد ان استحمت وجففت نفسها، التزرت بالمنشفة وسارت نحو الباب المؤدي الى غرفة النوم، وهناك وجدت ثوباً حريرياً ممدداً على السرير.

وجالت بنظرها في الغرفة، فرأت ان النور ينبعث من مصباح الى جانب السرير، وان على السرير غطاء وردي اللون، مثل الستائر التي على الشبابيك. كانت غرفة تريح النفس برياشها الهادىء الفاخر، ولا يعوزها شيء من الترف الأصيل.

وتوقفت دومينيك هنيهة تتنصت في ذلك الهدوء الشامل، بعيداً عن المكان الذي يسهر فيه الضيوف. ثم ارتدت الثوب الحريري الأخضر الفاخر الذي لف جسمها وأبرز مفاتنه الخفية والصارخة معاً، مما اثار فيها المشاعر الدفينة وجعلها تتساءل ماذا يراد منها الآن.

وسمعت طرقاً على الباب، ثم دخل سلفادور وقال لها باعجاب:

ـ هذا افضل، اليس كذلك؟

ـ نعم، افضل بكثير.

ـ اذن، سأجمع ثيابك التي في الحمام لتجفيفها. لن تأخذ وقتاً طويلاً... لا تقلقي يا آنسة مالوروي!

وحارت دومينيك ماذا تقول، فلم تقل شيئاً. وبدا لها ان سلفادور يسيطر على الوضع، وهو سيد الموقف.

وسألته بصوت خافت:

ـ والسيد هاردنغ؟

ـ السيد هاردنغ مع الضيوف... لا تهتمي بشيء. فنحن نعتني بأمره ونطمئنه... هل انت جائعة؟

ـ لا، لا احتاج الى شيء. شكراً.

ـ حسناً. اسمحي لي بالذهاب الآن.

ـ نعم... شكراً مرة ثانية!

وشعرت بالراحة عند التحدث الى سلفادور. . . واعجبتها كفاءته كما اعجبها صمته.

سارت نحو الباب المؤدي الى الشرفة وخرجت الى هناك. كان الفضاء موشحاً ببعض الغيوم، والنجوم تبدو اكبر وأكثر لمعاناً مما هي في انكلترا. وتنشقت عبير الورود المنتشرة في الحديقة تحت الشرفة، وهي تستند الى الحاجز وتتنهد. وكان الليل ساحراً يثير عواطف الحب لا الحزن والكآبة.

وسمعت الباب يفتح وراءها، فعادت الى الغرفة لتجد سلفادور حاملاً ثيابها المطوية على ذراعه. ودهشت كيف جففها في مدة نصف ساعة لا اكثر. ولما اعربت له عن دهشتها قال لها مبتسماً:

ـ عندنا جهاز كهربائي للتجفيف السريع، وكذلك مكواة حديثة.

ـ شكراً يا سلفادور. . . هل غادر الضيوف؟

ـ لا يا آنستي. لماذا تسألين هذا السؤال؟

ـ لأنني لا اسمع اية حركة أو صوت.

ـ المكان واسع يا آنستي.

فتمتمت قائلة:

ـ نعم، نعم. هل يحسبني الجميع معتوهة حمقاء؟

ـ ماذا يحملك على مثل هذا القول يا آنستي؟

ـ سقوطي في البركة وما الى ذلك. . .

ـ كانت حادثة عابرة يا آنسة مالوروي. لا احد يسقط في بركة ماء عن قصد، وهو يرتدي ملابسه.

ـ ربما ظنوا اني فعلت ذلك لأجذب الي الانتباه!

فابتسم سلفادور قائلاً:

ـ لا اوافق على ذلك يا آنستي.

نظرت اليه دومينيك وقالت:

ـ لمن هذا الرداء؟

ـ للآنسة ايزابيلا يا آنسة مالوروي.

ـ ايزابيلا؟ ومن هي؟

ـ اخت السيد سانتوس يا آنسة مالوروي.

ـ آه نعم. تلك التي دخلت الدير.

ـ هذا صحيح يا آنسة مالوروي.

رمقته دومينيك بنظرة فاحصة وقالت:

ـ انت لست ممن يحبون تداول الشائعات يا سلفادور!

ـ لا يا آنسة مالوروي. . . احاول جهدي ان لا اكون كذلك.

ـ ولكن لعلك ادركت اني احاول ان اعلم منك بعض الأمور.

ـ نعم، ادركت ذلك. واذا كنت تريدين ان تعلمي شيئاً عن عائلة سانتوس، فما عليك الا ان تسأليه.

ـ اتظن انه يخبرني؟

ـ اظن انه يعمل الكثير من اجلك يا آنسة مالوروي.

وبعد صمت قليل، عادت الى الكلام قائلة:

ـ هل يتوقع مني ان ارتدي ثيابي وانضم الى الضيوف الآن يا سلفادور؟

ـ اذا كان هذا ما تريدين.

وفتح سلفادور الباب وهمّ بالخروج، حين ظهر شبح في الممر. واقترب الشبح نحو الباب، فاذا هو فنسانتي. فقال له:

ـ اطلت الغيبة يا سلفادور.

ـ كنا نتحدث يا سيدي. هل كنت بحاجة الي؟

حدق فنسانتي الى دومينيك وقال لسلفادور:

ـ تعجبت من غيابك، هذا كل ما في الأمر. هل استعادت ضيفتنا كامل عافيتها؟ بماذا كنتما تتحدثان؟

ـ بأمور شتى. . . هل تسمح لي بالذهاب الآن؟

وحاد فنسانتي عن طريقه، فخرج من الغرفة واغلق الباب. ووقفت دومينيك بقرب السرير وهي تتمنى لو افسح لها في المجال لارتداء ثيابها، مع علمها بأن الرداء الذي كانت تلبسه يليق بها كثيراً.

على ان فنسانتي لم يحاول ان يلمسها. وعوضاً عن ذلك اخرج سيكاراً من علبة في جيبه واشعله، ثم اخذ يتأملها بنظراته وهو يقول:

ـ اريد ان تفسخي عقد خطوبتك من هاردنغ وتتزوجيني.

فصاحت وهي لا تصدق اذنيها:

www.mlazna.com مرمورية

- اتزوجك؟ انت غير جاد في ما تقول.

فأجابها وعلى وجهه امارات التصلب والعزم:

- نعم، انا جاد في ما اقول.

وشدت دومينيك بكفي يديها على وجنتيها المتقدتين وقالت:

- يا للسخرية! انت لا تريد ان تتزوجني... انت لا تحبني!

فأجابها بدعة قائلاً:

- اريدك.

فابتعدت عنه وقد استولت عليها الحيرة والارتباك. وشعرت انها مثل قارب دفع الى الخروج من مرفأه الأمين الى خضم الأمواج المزبدة.

وتساءلت اي نوع من الرجال هو هذا الذي يحاول ان يغريها في لحظة، ثم لا يلبث ان يعرض عليها الزواج في لحظة اخرى؟ فما هي اهدافه وغاياته؟

وقالت له وهي تضطرب:

- احب جان.

فأجابها ببرودة قائلاً:

- كلا، لا تحبينه. لا تكذبي علي يا دومينيك. دعي الصدق على الأقل يجمع بيننا.

قالت بعصبية:

- كيف يحق لك ان تتحدث عن الصدق؟ وكيف تجرؤ على المجيء الى هنا وتطلب مني ان اتزوجك، وأنت تعلم حق العلم ان خطيبي في المنزل هذه اللحظة، تلبية لدعوتك اليه لأنه يثق بصداقتك؟

فهز فنسانتي كتفيه العريضتين، ثم حدق اليها قائلاً بمرارة:

- لم تكن ولا يمكن ان تكون صداقة بيني وبين هاردنغ.

وازداد اضطراب دومينيك. وصعب عليها ان تعتقد ان كل هذا الذي يجري الآن، انما يجري بالفعل.

وقالت له:

- حسناً انتما لستما صديقين. غير ان ذلك لا يعطيك الحق ان...

فقاطعها قائلاً بصوت قاس:

- بربك يا دومينيك، توقفي عن خداع نفسك. انت تريدينني بقدر ما انا اريدك، سواء اعترفت بذلك ام لا. ولكني احب ان اسأل: لماذا تتصور النساء انهن يختلفن عن الرجال من هذه الناحية؟

- انت تتحدث عن الرغبة.

- لماذا لا؟

- وكيف لك ان تتزوج شخصاً آخر بدافع الرغبة؟

- انا لم اقل ان الرغبة هي الدافع الوحيد.

وحارت ماذا تقول، فتابع فنسانتي كلامه قائلاً:

- اخبرتك من قبل انك لا تعلمين شيئاً عني. فخير لك ان تفسحي في المجال لمعرفتي.

احنت دومينيك رأسها وهي ترتجف. وخطى فنسانتي نحوها خطوات واثقة وأمسك ذراعيها وشدها اليه بعنف وقال:

- وأنا ارتجف ايضاً. صدقيني. ليست هذه طريقة سانتوس مع الآخرين. كنت ارغب في نساء كثيرات وكنت افوز بهن. اما انت... انت... فأنا مستعد ان اعطيك اسمي!

وكادت دومينيك تفقد صوابها، ولكنها تمتمت قائلة بسخرية:

- لي الشرف!

- كفاك! اريد جواباً على طلبي الزواج بك!

واغمضت دومينيك جفونها المضطربة، مما اثار عطفه عليها، فلامس عينيها وهمس كلمات في لغته الأم. ولم تفهم ما كان يقوله، ولم تبال ان تفهم، لأن عقلها كان يغرق في لجة لا قرار لها. ولو حاول في تلك اللحظة لاستسلمت اليه بطيبة خاطر.

غير ان فنسانتي كان يحس بحرارة جسمها من خلال الرداء الحريري الشفاف الذي كانت تلبسه. فأبعدها عنه ونظر الى عينيها الزائغتين. وقال لها:

- يا الهي! اتريدينني يا دومينيك ان اخسر كرامتي وأفقد السيطرة على نفسي ايضاً؟

وفجأة انفتح الباب بعنف ودخل جان وهو يرغي ويزبد من الغضب

والغيرة.

وصاح قائلاً:

ـ انت رجل حقير يا سانتوس... سأقتلك جزاء فعلتك هذه.

فأفلت فنسانتي دومينيك والتفت نحو جان بهدوء، ثم مشى نحوه ويداه في جيب سرواله وقال له:

ـ اهكذا تقول؟

فجمع جان قبضته ولطمه على ذقنه قائلاً:

ـ لعنك الله!

وفوجىء فنسانتي باللطمة فوقع على الأرض عند قدمي دومينيك. فانحنت دومينيك وجلست الى جانبه ووضعت رأسه على ركبتيها.

وصاح جان بضراوة قائلاً له:

ـ انهض! وقاتل مثل الرجال.

وفرك فنسانتي ذقنه بيده، فيما صرخت دومينيك في وجه جان قائلة:

ـ هل جننت؟ لا يحق لك ان تدخل الى هنا وتتصرف كوحش مفترس!

فما كان من جان الا ان امسكها بعنف وأقامها على قدميها وهو يقول:

ـ انت خطيبتي يا دومينيك، فكيف افعل غير ذلك، بعد ان شاهدتك معه هكذا!

فتخلصت دومينيك من قبضته وصاحت به قائلة:

ـ على الأقل اعطني فرصة لأشرح لك!

وهنا قال لها فنسانتي وهو ينهض عن الأرض ببطء:

ـ كيف ستشرحين له هذا الذي جرى؟

فنظرت اليه والى جان بعينين معذبتين. وقال جان غاضباً:

ـ دومينيك هي خطيبتي، ومهما يكن كلامك، فهو لا يغير هذا الواقع!

واستجمع فنسانتي قواه وقال:

ـ هل انت متأكد من ذلك؟

ثم التفت الى دومينيك وخاطبها قائلاً:

ـ وأنت، ماذا تقولين يا حبيبتي!

فهزت رأسها وهي تقف بين جان وفنسانتي. وأدركت انها خطت اعظم خطوة في حياتها.

وبوغت جان، فقال كمن لا يصدق ما تراه عيناه وتسمعه اذناه:

ـ دومينيك... اياك ان تفعلي ذلك!

وحدق الى فنسانتي، ثم قال لها:

ـ هذا الرجل يتلاعب بعواطفك ويخدعك كما خدع غيرك من النساء... بربك تعالي معي الآن. سأغفر لك كل شيء، ولكن لا تهدمي حياتك!

فأجابته بكل هدوء قائلة:

ـ لا اقدر يا جان!

ـ دومينيك... دومينيك! لا تجعلي هذه النزوة العابرة تسيطر عليك وتدفعك الى ارتكاب خطأ فظيع!

فأحنت رأسها وقالت له:

ـ ارجوك ان تذهب يا جان!

فتردد قليلاً كأنه كان يفكر في الهجوم على سانتوس مرة اخرى. ولكنه لم يفعل، بل استدار نحو الباب وخرج من الغرفة.

وبعد خروجه قال لها فنسانتي:

ـ هكذا اذن حرقت مراكبك.

قال ذلك بلهجة فيها شيء من السخرية. فأجابته قائلة:

ـ نعم. والآن ماذا تنوي ان تفعل؟ هل ستنسى انك عرضت علي الزواج؟

فنظر اليها فنسانتي متأملاً وهو يسرح شعره بأصابعه وقال:

ـ لا، لا يمكن ان انسى.

وأخرج من جيبه ورقة مطوية وقال لها:

ـ هذه رخصة الزواج. سنحتفل به غداً.

فارتبكت دومينيك وقالت:

www.liilas.com

ـ كيف تأكدت من قبولي بك... كيف؟

ـ هذا شأني. والآن خذي قسطك من النوم. وهذه الغرفة لك هذه الليلة... وغداً سنرى.

وقبل ان يترك لها الفرصة للكلام فتح الباب وخرج من الغرفة.

٦ـ قطار الحب السريع

نامت دومينيك نوماً غير هانىء، ولكنها شكرت الله على كل حال، لأنها لم تكن تتوقع ان تنام على الاطلاق، بعدما حدث لها ما حدث.

الا ان ليلتها لم تخل من الأحلام المزعجة، حتى انها قبل طلوع الفجر بقليل استفاقت على صراخ غريب نفذ الى اعماق وعيها، فهبت جالسة في فراشها الواسع الضخم وهي ترتجف من الرعب. ولم تستطع ان تتخيل ماذا يمكن ان يكون ذلك. وشعرت في هذا المكان الغريب المستوحش بالوحدة والعزلة لأول مرة في حياتها. حتى ان وفاة والدها لم تؤثر فيها مثل هذا التأثير.

وكان لا بد لها، بالطبع، ان تعود الى النوم. وحين مزق الصراخ جو السكون مرة أخرى، ادركت بارتياح ان ذلك الصراخ لم يكن صراخ بشر،

بل زئير أسد في الجبل هناك.

غير ان عودتها الى النوم لم تعد ممكنة في تلك الساعة الحائرة بين الليل والنهار، فنهضت واشعلت سيكارة. فتحت باب الشرفة، وارسلت نظرها الى الخارج. كان الهواء بارداً على جسمها الدافىء. ورأت وهجاً وردي اللون على جنبات الأفق، سرعان ما سينبلج ضوءاً فضياً فوق الوادي. واستندت الى حاجز الشرفة وتنهدت متسائلة هل هي بالفعل هنا، ام ان ذلك حلم آخر من الاحلام التي رأتها في منامها تلك الليلة؟ وهل هي حقاً ستتزوج فنسانتي سانتوس؟ أيمكن ان يكون ما بدر من جان حقيقة واقعة؟

وماذا كان شعورها ازاء كل ذلك؟ هل كانت حرة في خيارها؟ كل ما تعرفه هو انها، منذ التقت فنسانتي، وقعت أسيرة هواه، على نحو لا عهد لها به مع رجل آخر. نعم، أحبت جان حباً بريئاً خالصاً، ولكنه لم يبعث فيها تلك المشاعر التي بعثها فيها فنسانتي سانتوس، حتى ان مجرد وجودها بقربه كان يبعث البهجة الى أعماق قلبها.

ومع هذا كله، فقد تكون جعلت من نفسها أضحوكة للناس. غير ان الطلاق كان سهلاً في تلك الأيام، خصوصاً حين يكون الزوج ثرياً كفنسانتي سانتوس. وهو لم يقل لها، ولو مرة واحدة، انه يحبها. قال انه يريدها، نعم. ولكن هل هذا يكفي؟ واذا كانت هي تحبه، فهل هذا يكفيها حين لا يكون هو ملتزماً بحبها؟ وهل كان في وسعها ان تقف جانباً وتتفرج عليه يعشق نساء أخريات، مطمئناً الى وجود خاتم الزواج الذهبي في خنصرها؟

عادت الى الغرفة وراحت تذرعها جيئة وذهاباً. وفكرت انها لو اتخذت جانب الحكمة والتعقل لحزمت حقائبها ورحلت لا الى بيلافيستا، بعد ان انهارت علاقتها بجان، بل الى انكلترا، حيث أهلها وذووها.

استلقت على الفراش وأغمضت عينيها منهوكة القوى... وتساءلت أي خير يرجى لها من وراء تلك الأفكار؟ فسانتوس لن يدعها ترحل بسهولة، حتى لو هي شاءت ان تفعل.

وغرقت ثانية في نوم عميق، لأنها حين نهضت كان شعاع الشمس يبهر الانظار في الخارج والساعة تشير الى الحادية عشرة صباحاً. فسارعت الى

الوقوف على قدميها وهي تترنح وتعجب كيف مضى كل هذا الوقت دون ان يزعجها أحد.

وجالت بنظرها في ارجاء الغرفة. كانت ثيابها لا تزال في مكانها عند قدم السرير، غير انه لم يرق لها ان ترتديها ثانية. فهل كان ذلك اليوم يوم زفافها أم لا؟

وهنا دخل سلفادور بهدوء كأنه خشي ان تكون بعد نائمة، وقال لها:

ـ اراك أفقت يا آنسة مالوروي!

فأجابت قائلة:

ـ انها الساعة الحادية عشرة، أليس كذلك يا سلفادور؟

ـ نعم... ولكن انتظري قليلاً يا آنستي!

وغادر الغرفة، فخرجت دومينيك الى الشرفة وهي تتساءل ماذا عساه ان يفعل الآن. ولم يطل به الأمر حتى عاد يحمل طعام الفطور.

وفيما هي تتناول طعامها، قال لها سلفادور:

ـ أيمكننا ان نتحدث الآن قليلاً يا آنستي؟

فابتسمت واجابت قائلة:

ـ نعم، بماذا تتحدث يا سلفادور؟

ـ عن زواجك بالسيد سانتوس، أليس كذلك؟

فرفعت حاجبيها الأسودين وقالت:

ـ نعم يا سلفادور، الا ترى هذا حدثاً مفاجئاً؟

ـ لا يا آنستي، ليس الأمر كذلك.

ـ انا اعتبره حدثاً مفاجئاً. والآن قل لي لماذا فعل ذلك يا سلفادور؟ لماذا يريد ان يتزوجني؟

ـ لست انا الذي يجيب على هذا السؤال يا آنسة مالوروي!

ورفعت دومينيك فنجان القهوة، وقبل ان تقربه من شفتيها قالت له:

ـ ولماذا لا؟ ألا ترى ان من حقي ان أحصل على تفسير ما؟

فنهض ونظر اليها باحترام وقال:

ـ لماذا تحسبين ان زواج السيد سانتوس بك أمر يثير الاستغراب؟ انت فتاة رائعة الجمال، فضلاً عن ان السيد سانتوس لا يفعل شيئاً لا يريد ان

www.mlazna.com مرمورية

يفعله!

تطلعت دومينيك وقالت بشيء من التهكم:

ـ هذا كرم أخلاق من السيد سانتوس!

وقال لها سلفادور:

ـ دعينا ننسى هذا النوع من الأحاديث يا آنستي! فلدينا ما هو أهم.

وسكبت لنفسها فنجاناً آخر من القهوة وهي تقول:

ـ ماذا ألبس لحفلة العرس؟ فستان العرس لا يزال في بيت رولينغز، وهو لا يحتاج الا لبعض الكي.

ـ هذا ليس ضرورياً يا آنستي. طار كارلوس هذا الصباح الى ريو ليجلب لك فستاناً، وسيعود بعد قليل.

فصاحت دومينيك:

ـ الى ريو؟

ـ نعم. وأعطاه السيد سانتوس قياسك وسيشتريه من المحل الذي كانت تشتري منه الآنسة ايزابيلا ثيابها. وكارلوس سيهتم بكل شيء، هو والسيدة جيرمين.

فشعرت دومينيك بالحيرة، وقالت لسلفادور:

ـ ومتى ستكون حفلة الزواج؟

ـ في الساعة الثالثة يا آنستي. ثم يعقبها حفلة استقبال في فندق بيلافيستا...

ـ وهل المدعوون كثيرون؟

ـ أصدقاء السيد سانتوس المقربون فقط، وربما بعض الموظفين في الشركة.

فاحتجت قائلة:

ـ لا، لا. كيف لي ان أواجه اصدقاء جان؟

ـ ولماذا لا يا آنستي؟ الخطوبات تعقد لكي تنقض!

ـ هذا ليس صحيحاً.

ـ على كل حال، معظمها ينقض.

قال سلفادور ذلك ومشى نحو الباب، ثم التفت نحوها وتابع قائلاً:

ـ سأعود اليك حالما يصل كارلوس من ريو. وفي هذه الاثناء، ربما تريدين ان تتصفحي بعض المجلات. فالسيد سانتوس مشغول جداً كما هو متوقع.

فقالت دومينيك:

ـ أفهم ذلك... ولا أريد شيئاً يا سلفادور. سأستحم، فالساعة بلغت الثانية عشرة. والوقت يمضي سريعاً.

ـ لك ما تشائين يا آنستي. واذا احتجت الى شيء فارفعي سماعة التلفون.

ـ شكراً.

وبعد ان خرج سلفادور دخلت الحمام واخذت تستحم ببطء، لأنه كان أمامها متسع من الوقت.

ثم جففت نفسها والتفت بمنشفة وخرجت الى غرفة النوم. وهناك رأت معلقاً على الباب ما طار له صوابها، وهو ثوب عرس قصير أبيض اللون، له ياقة عالية وأكمام طويلة، ومعه برقع يلائمه وعليه تاج من الماس الخالص.

وعلى السرير كانت هنالك ملابس داخلية وحذاء ذو كعب معتدل العلو كما تعودت ان تلبس.

نزعت عنها المنشفة ولبست الرداء الحريري مرة أخرى. وسمعت طرقاً على الباب، واذا بسلفادور يدخل ويقول لها:

ـ هل أعجبك فستان العرس؟

ـ جداً. هل كل شيء يسير على ما يرام؟

ـ بالطبع يا آنستي. ماذا تريدين طعاماً لغدائك؟

ـ لا شيء.. لا شيء. تناولت طعام الفطور متأخرة.

ـ ما رأيك ببعض الخضار؟

ـ لا. لا شيء. شكراً. ليس الآن.

وخرج سلفادور من الغرفة. وكان الوقت يمر بسرعة. وقاربت الساعة الثانية بعد الظهر، فأخذ القلق يساور دومينيك.

وسارعت الى ارتداء ملابس العرس. وفيما هي تنظر الى هندامها في المرآة، طرق الباب فظنت ان سلفادور هو الطارق. ولما دعته الى الدخول

www.liilas.com

فوجئت بأن الطارق كان أليسيا ريفاس. فصاحت مرحبة بها.

واقتربت اليسيا منها وقالت لها مظهرة اعجابها:

- ما أجملك يا دومينيك!

- أحقاً ما تقولين؟

- نعم، نعم. وفريدريك ينتظرك في البهو. وقلت لسلفادور اني سأرافقك في النزول لملاقاته.

فترددت دومينيك لحظة، وقالت لها:

- أتراني فتاة حمقاء يا سيدة ريفاس؟

فابتسمت السيدة ريفاس وأجابت قائلة:

- كلنا نكون على شيء من الحماقة حين نقع في الحب!

- ولكن ماذا يقول الناس؟ جئت الى هنا للزواج بجان، وها انا...

فقاطعتها السيدة ريفاس قائلة:

- لا خير في الزواج من السيد هاردنغ، يا عزيزتي. اذا كنت لا تحبينه. هذا بالاضافة الى ان فنسانتي سيد نفسه، كما لا بد انك اختبرت ذلك بنفسك.

ونزلتا السلّم معاً. وكان فريدريك ريفاس وسلفادور في الانتظار. وقال لها فريدريك:

- هذا أمر سار لم أكن أتوقعه.

فاجابته قائلة وهي تبتسم له:

- وهو مفاجأة لي أيضاً.

- وانه يسعدني يا آنستي ان فنسانتي وجد المرأة التي تشاركه حياته.

فظهر الارتباك على دومينيك وهي تقول:

- غمرتموني جميعاً بلطفكم، ويعجز لساني عن التعبير عن شعوري نحوكم.

فقال فريدريك:

- لا حاجة بك الى التعبير عن ذلك... حان الوقت للذهاب، ولا أظن انك تريدين الوصول متأخرة الى حفلة زواجك!

وكانت هنالك سيارة فخمة تقف في انتظارهم، فصعدوا اليها. وسارت

بهم السيارة الى كنيسة ميخائيل التي تقع في احدى ضواحي بيلافيستا. وحين وصلوا اليها شعرت دومينيك بالرهبة، حتى انه خطر لها ان تهرب، لا من فنسانتي، بل من الأنظار التي كانت مصوبة نحوها، كما نحو عرس لم يشهد له الزمن مثيلاً.

واخذ فريدريك ريفاس بذراعها وقال لها بحنان:

- دومينيك... دومينيك، هل أنت بخير؟

وكان سلفادور وزوجته دخلا لا يرافقهما أحد.

ونظرت دومينيك الى فريدريك، فرأت القلق بادياً على وجهه. ولكنها طمأنته قائلة:

- نعم، انا بخير... هل هو هنا؟

- فنسانتي؟

- نعم.

- نعم، هو هنا... بانتظارك.

فشعرت بالارتياح لأنها حتى في تلك اللحظة، خشيت ان يتركها وحدها.

وكان صوت الارغن ينبعث من الداخل ويملأ الأجواء بأنغامه العذبة. ثم نهض الحاضرون واقفين على جانبي الممر المؤدي الى المذبح، عندما بدأت دومينيك سيرها البطيء وهي مستندة الى ذراع فريدريك. وفوجئت انها لم تكن تهتم بكل تلك العيون المحدقة اليها، ما عدا عيني فنسانتي. وحين وصلت اليه لم ينظر اليها سوى نظرة سريعة عابرة.

وبعدما تمت المراسيم ووضع خاتم الزواج في خنصرها وخنصر عريسها، شعرت بعيني فنسانتي عليها. فحدقت اليه في محاولة لمعرفة ما كان يعتمر في داخله من مشاعر. ولكنها لم تتميز شيئاً، فداخلتها الخيبة والحيرة.

ثم خرجا معاً على قرع الاجراس التي كان صداها يتجاوب في الوادي. وتجمهر الحاضرون حولهما يهنئونهما ويرشّون الزهور والأرز. وتمكنت دومينيك من التعبير للجميع عن شكرها وامتنانها. وكانت كلوديا هناك تنظر الى فنسانتي بحسرة. وكان جان هناك أيضاً، فلمحته دومينيك واقفاً

يتطلع من بعيد. ثم لم يلبث ان توارى بين الجموع.

وبعد ذلك صعدت الى سيارة فخمة يقودها سلفادور. وجلس فنسانتي الى جانبها في المقعد الخلفي. وانطلقت السيارة، فمالت دومينيك بنظرها نحو فنسانتي، فاذا على وجهه امارات الكآبة، فتساءلت اذا كان نادماً على ما فعل.

وقالت له:

ـ هل اشكرك على هذا الثوب الرائع الذي اخترته لي لهذه المناسبة، ام اسألك اذا كان يعجبك ام لا؟

فالتفت اليها بعينين غارقتين في التأمل وأجاب قائلاً:

ـ هل تظنين انه يعجبني؟

ـ لا ادري...

ـ انه ثوب جميل... ولكني أتوق الى رؤيتك من دونه فيما بعد!

فأحمر خداها وقالت:

ـ لا تفسد علينا بهجة هذا النهار!

ـ وماذا تريدينني أن افعل وسلفادور يسمع كل كلمة نتلفظ بها؟ أنا أفضل ان اغازل في الخفية عن انظار الآخرين ومسامعهم!

وساء دومينيك هذا الكلام، خصوصاً لأنها خشيت ان يكون استخدم سلفادور كذريعة لهدف ما، فما هذا الهدف يا ترى؟

وفي الفندق كانت حفلة الاستقبال عامرة بالمآكل الشهية ومختلف انواع الشراب. ولم تسمح لها كثرة الضيوف من ان تقترب الى فنسانتي لانهماكه بمحادثة الضيوف وملاطفتهم. ولم تجد اي تفسير لانصرافه عنها، رغم كل شيء، سوى رغبته... كما قال لها في السيارة ان لا يغازلها الا عندما يخلو لهما الجو.

وعزمت اقتصاصاً منه، ان تلاطف كل من كان على مقربة منها من الرجال. وكان فريدريك ريفاس اكثر الرجال اعجاباً بها. ومع انها لم تلاطفه كثيراً الا انها شجعته على ملاطفتها. ثم كان هنالك شاب يدعى جوزي بيانكا ذكر فنسانتي في السهرة الفائتة انه كان في رفقة كلوديا. فهذا الشاب أخذ بسحر زوجة رئيسه الجديدة وراح يحيطها باهتمامه الشديد

ويحادثها عن قصر مينا تيرا وسباق الدراجات النارية. واجتهدت دومينيك في اظهار تمتعها بحديثه، الا انها ألقت عيناً واحدة على زوجها، تحصي حركاته وسكناته. فكان يتنقل من امرأة الى أخرى يوزع عليهن محاسنه وسحر رجولته.

وشق ذلك على دومينيك. كيف يفعل ذلك مع سواها؟ وندمت على الساعة التي تزوجته فيها، لأنها زادت في بؤسها وشقائها!

وطالت حفلة الاستقبال عدة ساعات. ولم يكن الا في نحو الساعة السابعة والنصف ان وجدت دومينيك فنسانتي واقفاً الى جانبها. فتجاهلته وظلت تحادث جوزي بيانكا. وانتبه هذا الأخير ان فنسانتي يقف بجواره، فتوقف عن الحديث احتراماً له.

غير ان دومينيك، وقد ادارت ظهرها الى فنسانتي، أصرت على بيانكا ان يكمل حديثه. ولكن فنسانتي خاطبها قائلاً:

ـ دومينيك، يجب ان نذهب.

فاستدارت نحوه وقالت بابتسامة ناعمة:

ـ انتظر قليلاً حتى ينهي جوزي حديثه معي.

فوضع فنسانتي يده على كتفها وقال لها بصوت أجش:

ـ الآن يا دومينيك!

وتطلعت اليه دومينيك، ولما لاحظت امارات القسوة على وجهه قالت له:

ـ حسناً. أين سلفادور؟

ـ لا نحتاج الى سلفادور. تعالي وودعي ضيوفنا.

فأطاعت دومينيك. وحين خرجا الى العراء أصعدها فنسانتي الى المقعد الأمامي بجانبه. كان صامتاً ولا مبالياً، مما جعلها تشعر بالميل الى البكاء.

وقبل وصولهما الى القصر، قال لها:

ـ سنذهب لقضاء شهر العسل في أوروبا فيما بعد. أيعجبك ذلك؟

ـ كما تريد.

وخيل اليها انه ابتسم لجوابها. وحارت كيف تفسر تصرفه الخالي من العاطفة الحميمة. فهي لم تعهد ذلك في طبعه. أما قال لها انه يريدها؟

وذلك فضلاً عن ان لا شيء أجبره على الزواج بها.

ووصلا الى القصر وكان يتلألأ بالأنوار الساطعة. فأوقف فنسانتي السيارة في الباحة الداخلية ونظر الى دومينيك قائلاً:

- والآن؟

- نعم... والآن؟

- ها نحن وصلنا!

فخرجت من السيارة دون ان تنتظر مساعدته.

وكان الليل بديعاً هادئاً، والنجوم تسطع في السماء وتبدو قريبة من متناول اليد. وشعرت دومينيك فجأة ببرودة الطقس، خصوصاً وانها كانت ترتدي ثوب العرس الحريري الشفاف. وتساءلت متى تستطيع ان تأتي بثيابها من بيت رولينغز. وادركت بحدسها ان فنسانتي قد يطلب منها ان تذهب هي بنفسها للاتيان بها، لتظهر انها لا تخشى أقاويلهم.

وغادر فنسانتي السيارة وبدأ يصعد الدرجات المؤدية الى الشرفة. وقال لها:

- تعالي. أريد أن اريك شيئاً.

فترددت ثم لحقت به ببطء. وكان قد حل ربطة عنقه وبعض أزرار قميصه.

وقال لها:

- الطقس حار، أليس كذلك؟

- ولكني اشعر بالبرد!

فكاد يبتسم. ثم دخلا الى غرفة الاستقبال المستطيلة، ومنها الى الممر. ومع ان المصابيح كانت مضيئة، الا ان احداً لم يكن هناك.

وحين وصل فنسانتي الى أسفل السلم قال بصوت منخفض كسول:

- أظن انه لن يكون بيننا شيء هذه الليلة.

فلم تبال دومينيك بالرد عليه. كانت لا تزال مستاءة من الحفلة. وعندما هز كتفيه وصعد السلم، استدارت وسارت نحو غرفة الجلوس.

وتوقعت ان يعود اليها غاضباً، او ان يجبرها على الذهاب معه، ولكنه لم يفعل. فثار ثائرها لتصرفه المتناقض. وتقدمت من خزانة الشراب وسكبت

لنفسها كأساً من عصير الليمون، ثم جلست في احد المقاعد واخذت تشربه ببطء.

كان جو الغرفة هادئاً، بالقياس الى جو الفندق. وكانت هنالك ظلال على الشرفة، تتحرك مع هبوب النسيم. كانت ظلال الاشجار في الحديقة، ولكن بعد ليلة أمس وما سمعته من زئير في الجبال خشيت ان يتسلل الأسد الى الحديقة. فتوترت اعصابها لهذه الأفكار السوداء ونهضت على قدميها ومشت الى باب الشرفة واغلقته جيداً.

ثم اتجهت نحو الممر وتطلعت الى اعلى السلم، فرأت نوراً خافتاً ينبعث من المصباح الوحيد هناك، فقطبت حاجبيها وتساءلت اين فنسانتي الآن وهل يعود اليها تلك الليلة.

واعتقدت انه يجب ان يعود، فهو لا يمكن ان يتركها متجاهلاً وجودها حتى الصباح.

عادت الى غرفة الجلوس وقد استولى عليها القلق الشديد. ووقفت أمام النافذة وارسلت نظرها الى الخارج.

كان السكون مسيطراً، وكذلك الظلام. وشعرت بالعزلة، خصوصاً لأنها اعتادت السكن في المدن لا في الريف. فتاقت الى عودة فنسانتي اليها، لا لشيء ربما، بل ليكون الى جانبها.

ولما ازداد قلقها سارت نحو السلم وبدأت تصعده ببطء. وحين بلغت أعلاه تلفتت حولها فرأت باب الغرفة التي نامت فيها الليلة الفائتة. ولكن أين فنسانتي؟ كان هنالك عدة غرف، فأي غرفة هي غرفته؟

خلعت حذاءها ومشت على رؤوس اصابعها في الممر الى غرفة كان بابها مفتوحاً، ولما رأت ضوءاً خافتاً هناك دخلت الغرفة.

كانت غرفة واسعة لا تحتوي الا سريراً واحداً. ولم تكن فاخرة الرياش كتلك التي نامت فيها الليلة الفائتة. فقطبت جبينها وتساءلت هل ينوي فنسانتي ان ينام هنا؟

هزت رأسها واتجهت الى وسط الغرفة. أين هو؟ وهل هذه هي طريقته الجديدة لتعذيبها؟

وفجأة سمعت صوتاً يقول لها:

ـ ماذا تفعلين هنا؟

فقفزت من الرعب، وحين شاهدت فنسانتي صاحت قائلة:

ـ فنسانتي!

كان خارجاً لتوه من الحمام وقد لف حوله ثوب الحمام القصير الى الركبتين. وبذلك بدا لها اكثر جاذبية من قبل فازداد خفقان قلبها.

وسألها مرة ثانية قائلاً:

ـ ماذا تفعلين هنا؟

فأخفت دومينيك غيظها وقالت بهدوء:

ـ كنت... كنت افتش عنك.

ـ أصحيح هذا؟ لماذا؟

ـ تسألني لماذا؟ كيف تصعد الى فوق وحدك وتتركني وحدي مع تلك الظلال المخيفة والأصوات المرعبة؟

ـ طلبت منك ان ترافقيني ألا تذكرين؟

ـ نعم، اذكر. ولكن هل تظن ان بامكانك ان تعاملني كمعتوهة؟

ـ ماذا تريدين ان تقولي؟

ـ بربك كفى! كفى! انت تعذبني اليوم عن قصد. فعلت كل شيء لتجرح عواطفي... فلماذا... لماذا؟

فأجابها بصوت خشن:

ـ وأي شيء تريدينه مني؟

استشاطت غضباً ومرت من امامه في طريقها الى الممر وهي تصيح بمرارة:

ـ اكرهك... اكرهك! لم يخطر ببالي ان رجلاً يكون خالياً من الشعور بهذا المقدار!

فقبض فنسانتي ذراعها وقال:

ـ تعالي الى هنا... فأريك غرفتنا.

ـ غرفتنا؟

ـ نعم.

وقادها الى الغرفة الصغيرة ومنها الى باب مغلق وقال:

ـ هذه الغرفة مخصصة للملابس، واما الغرفة التي ستدخلها فهي غرفة النوم الرئيسية.

وفتح الباب على غرفة واسعة في وسطها سرير ضخم، غطاؤه من الديباج الأزرق الموشى بخيوط الذهب، وكذلك الستائر. ومشت دومينيك الى وسط الغرفة، فغرقت قدماها في السجادة السميكة الناعمة، ذات اللون العاجي.

وضم فنسانتي ذراعيه وقال لها:

ـ ما رأيك؟ هل تعجبك هذه الغرفة؟

فالتفتت دومينيك اليه صائحة:

ـ كيف لا؟ والآن يا فنسانتي، لماذا تغيرت نحوي؟

ـ أنا لم أتغير!

ـ كيف تقول ذلك، الا اذا كنت من قبل تكذب علي!

وشعرت به يقترب نحوها، ثم بذراعيه تطوقانها وتشدانها اليه، وسمحت لنفسها ان تستند اليه بدعة تامة.

وتمتم قائلاً:

ـ قلت لي انني لا استطيع ان اثير غيرتك، ولكني استطعت، الا تعترفين؟

فاغمضت عينيها وهي تهمس قائلة:

ـ نعم، نعم!

وقال فنسانتي:

ـ كل مرة لمستك فيها كنت تنكرين حاجتك الي. واليوم عاملتك هكذا عن قصد، كما كنت تعامليني... اريدك ان تريديني. فهل انت الآن كذلك؟

فتأوهت موافقة.

وقال لها:

ـ هل انت جائعة؟

ـ وانت؟

www.mlazna.com مرموريـة

- اليك فقط... انت أجمل شيء في حياتي.
فتمتمت قائلة له:
- احبني... احبني يا فنسانتي!

٧ - الأسرار تطفو الى السطح

كان شعاع الشمس ينفذ خلال الستائر، حين استفاقت دومينيك في صباح اليوم التالي. وفتحت جفونها على الأزرق المذهب الذي يوشح رياش الغرفة، فأدركت في الحال أين هي.

وأدارت وجهها بسرعة، فوجدت انها وحدها في ذلك السرير العريض الواسع. وتأوهت وهي تضع ذراعيها تحت رأسها وتترك العنان لأفكارها التي اخذت تسترجع احداث اليوم الفائت.

وسمعت خرير المياه في الحمام، فأدركت ان فنسانتي هناك. نهضت من الفراش واتجهت صوب غرفة الحمام وترددت حين وصلت الى الباب.

وفجأة فتح فنسانتي الباب ونظر اليها بحنان قائلاً:
- هل ايقظتك؟

فهزت رأسها ونظرت اليه بشوق طاغ. وفجأة قالت:

- احبك يا فنسانتي... احبك!

القى فنسانتي يديه على رأسها وانحنى هامساً في اذنها:

- دومينيك... علي مع الأسف ان اذهب الآن الى الشركة لحضور جلسة يعقدها مجلس الادارة.

فنظرت اليه قائلة:

- افي مثل هذه الساعة المبكرة؟

- مبكرة؟ الساعة الحادية عشرة الآن!

- صحيح؟

وأخذت اصابع فنسانتي تداعب خصل شعرها المرسل على كتفيها، فتعلقت به معجبة بقدرته على السيطرة على مشاعره. وقال لها:

- يجب ان اذهب يا دومينيك.

فتمتمت قائلة:

- أبهذه السرعة؟

فشدها اليه قائلاً:

- لا، ليس بهذه السرعة...

وودعها فنسانتي بعد حين، فاستحمت ولبست ثوبها الأسود الذي لبسته في حفلة العشاء منذ يومين. كان الثوب الوحيد الذي تملكه، بالاضافة الى ثوب العرس.

سارت الى البهو وتطلعت حولها كأنما تنتظر امراً ما. فهي لم تكن تعرف كل ارجاء القصر، ما عدا غرفة الاستقبال وغرفة الطعام. فشعرت بالغربة، غير ان شعورها هذا لم يطل، اذ ظهر سلفادور، فتنفست الصعداء وقالت له:

- عليك ان تريني بقية ارجاء المنزل يا سلفادور. فأنا اكاد لا اعلم عنه شيئاً.

فابتسم سلفادور قائلاً:

- تبدين جميلة هذا الصباح يا سيدتي. ارجو ان تكوني نمت نوماً هادئاً هذه الليلة.

فاحمر وجهها حياء وأجابت قائلة:

- نعم، شكراً... هل غادر زوجي المنزل؟

- نعم، يا سيدتي. غادره بسرعة فائقة.

وداخلها السرور حين تذكرت ان فنسانتي اصبح كله لها، كما اصبحت كلها له.

وقالت لسلفادور:

- وهل تراه يعود الى تناول طعام الغداء؟

- ربما، يا سيدتي. ولكنه عادة يعود متأخراً. وفي هذه الأثناء يأكل في مطعم الشركة طعاماً خفيفاً بانتظار وقت العشاء.

فقالت وهي تتجه صوب غرفة الجلوس:

- حسناً يا سلفادور... وهل هناك سيارة يمكن لي استخدامها بعد الغداء؟ اريد ان اذهب الى بيت رولينغز لجلب امتعتي.

فقال سلفادور بشيء من الاهتمام:

- ولكن السيد لم يقل شيئاً عن خروجك من المنزل.

- ومهما يكن، فعلي الذهاب الى هناك، لأنني لا استطيع ان ارتدي هذه الملابس الى الأبد!

فتجهم وجه سلفادور وقال:

- في وسعي ان اذهب انا الى بيت رولينغز مكانك. فلا شك عندي ان السيدة رولينغز تحزم امتعتك لأجلبها اليك.

- لا يا سلفادور. من واجبي، على كل حال، ان اذهب عاجلاً ام آجلاً لزيارة بيت رولينغز، واظن انه من الخير ان افعل ذلك عاجلاً.

فلم يرق ذلك لسلفادور، ولكنه قال:

- كما تريدين يا سيدتي، شرط ان اقود انا السيارة بنفسي.

- حسناً. ليكن ذلك.

- والآن تعالي لأريك جغرافية القصر، ريثما يهيء لك موريس طعام الغداء.

كان القصر اوسع مما تخيلته، فهو يتألف من غرف استقبال وغرف جلوس ومكتبة تحتوي، ما عدا الكتب، على آلة تسجيل واسطوانات

موسيقية شتى.

وكان للقصر طبقتان. في الأولى غرف النوم وتوابعها، وفي الثانية غرف نوم اخرى ولكن صغيرة، بالاضافة الى غرفة واسعة حسبت دومينيك انها للأطفال في المستقبل.

وكان جناح الخدم في الطبقة السفلى، حيث التقت موريس الطاهي الفرنسي وزوجته جوانا البرازيلية التي تزوجها بعد مجيئه من فرنسا للخدمة في القصر.

وبعد ذلك قال لها سلفادور:

ـ اخرجي واجلسي على الشرفة حول الطاولة هناك، وسأجلب لك كأساً من العصير.

فعلت دومينيك كما قال وجلست على الشرفة المطلة على الوادي وراحت تتأمل المناظر الطبيعية الأخّاذة وهي تشعر بالبهجة والسرور. ثم لم يلبث سلفادور ان جاء بكأس من الشراب ووضعه أمامها على الطاولة.

فشكرته دومينيك وقالت له:

ـ تعال أجلس معي بعض الوقت. فبامكانك الآن ان تخبرني عن بعض الشؤون المتعلقة بفنسانتي.

فابتسم قائلا:

ـ الأفضل ان لا أفعل. ثم ان لي عملا يجب ان أقوم به، خصوصاً اذا كنت سأرافقك الى بيت رولينغز.

وخرج من الشرفة. وتساءلت دومينيك اذا كان فنسانتي أوكل اليه العناية بها وحراستها، كما تدل على ذلك تصرفاته.

وكان طعام الغداء شهياً، فتناولته بنهم حتى انها شعرت بعد ذلك برغبة في العودة الى الفراش. فهي لم تكن معتادة على القيلولة بعد الغداء، الا انها في ذلك اليوم أحست بالكسل يسري في مفاصلها. ولكنها تذكرت موعدها مع سلفادور للذهاب الى بيت رولينغز، فعزمت على الوفاء به.

وهكذا، ففي نحو الساعة الثالثة قادها سلفادور بالسيارة الى بيت رولينغز. وكانت جالسة الى جانبه تتجاذب معه أطراف الأحاديث عن ريو دي جانيرو ولندن والفرق بين هاتين المدينتين.

ووصلا الى بيلافيستا، فاذا هي كما عرفتها دومينيك من قبل، أي هادئة بعض الشيء في ذلك الوقت من النهار. وتساءلت لماذا انتظرت ان تجد بيلافيستا غير ما عهدتها، ألأنها هي نفسها تغيرت ولا بد من ان يتغير كل شيء آخر؟

وحين اقتربا من بيت رولينغز قالت لسلفادور:

ـ لا تقف امام البيت، لأني أفضل ان أكون وحدي.

فنظر اليها وقال معترضاً:

ـ لماذا؟

ـ لا أقدر ان أفسر لك السبب تماماً. هذا شعور لا أكثر ولا أقل.

ونزل سلفادور عند رغبتها وقال لها:

ـ ومن يحمل لك حقائبك؟

ـ أوه، لم يخطر ذلك ببالي.

وبعد قليل من التفكير قالت لسلفادور:

ـ حسناً... قف بعيداً عن مدخل البيت، وبعد ان أجهز حقائبي أخرج الى المدخل وأناديك فتأتي.

فوافق سلفادور على هذا التدبير. ونزلت دومينيك من السيارة وأسرعت نحو البيت وهي تفكر في فستانها الأسود الذي لم يكن يلبس عادة في ساعات النهار. اجتازت المدخل وأخذت تصعد السلم المؤدي الى الشرفة ببطء. وهناك رأت من الشباك ماريون رولينغز وماري بدلر جالستين تشربان الشاي. فاستاءت لوجود ماري بدلر وحارت ماذا ستقوله لها ولماريون.

وكما لو انهما أحستا بقدومها، تطلعتا نحو الشباك، فلما شاهدتاها نهضتا واقتربتا منها.

وقالت لها ماريون وهي تفتح لها الباب:

ـ وماذا جاء بك الى احيائنا القذرة؟

ـ جئت لآخذ حوائجي!

ـ وأين عريسك الوسيم؟

فأجابت دومينيك وهي تدخل:

ـ ذهب الى الشركة... لحضور جلسة مجلس الادارة...
ـ وهل من الضرورة ان يذهب في اليوم الأول لزواجه؟
وحدقت بها دومينيك بحزم، فما كان منها الا ان قالت بخشونة:
ـ خذي حوائجك واذهبي...
والتفتت الى ماري وقالت لها:
ـ ما رأيك في ما جرى؟
فهزت ماري كتفيها الضيقتين وقالت لدومينيك:
ـ ألا تعتقدين انك خدعت جان؟
فصعد الاحمرار الى وجنتي دومينيك وأجابت:
ـ ربما... ولكني كنت خدعته أكثر لو تزوجته وأنا لا أحبه!
فصاحت بها ماري قائلة:
ـ «أحبه؟» كبّري عقلك يا دومينيك! الحب لا يدوم في هذا المناخ، ولا في أي مناخ... انت عاطفية، والرجال ليسوا كالنساء. فهم سرعان ما يضجرون من الناس والأماكن!
ووافقت ماريون على كلامها قائلة:
ـ هذا صحيح. فإياك ان تظني ان فنسانتي سانتوس مغرم بك!
وبدأت أعصاب دومينيك تتوتر، فقالت لها:
ـ لا أحسب انك في وضع يحق لك ان تحكمي على علاقتنا...
فضحكت ماريون بسخرية وقالت:
ـ كفى يا دومينيك... ظننتك امرأة واقعية كما تظهرين بثوبك القصير وآرائك العصرية، فاذا بك فتاة طائشة بسيطة القلب... يا الهي! هناك محاكم طلاق كما تعلمين... وأنت لست زوجته الأولى!
وثارت ثائرة دومينيك حين سمعت عبارة «لست زوجته الأولى». هل هذا صحيح؟ فنسانتي لم يتزوج من قبل، والا لكان أخبرها هو، أو أخبرها سلفادور!
ولكن ليس من الضرورة ان يخبراها. وخطر لها ان فنسانتي لم يخبرها الا قليلا عن حياته الخاصة، وسلفادور ليس من شأنه ان يفعل ذلك.
وعلا وجهها الاصفرار، حتى ان ماري قالت لها:

ـ ما بك يا دومينيك، هل أنت بخير؟
ـ نعم، نعم، أنا بخير. والآن عليّ ان أحزم امتعتي.
وسارت الى الغرفة التي كانت تشغلها وهي تترنح تحت وطأة ما سمعته.
وحين دخلت الغرفة ارتمت على الفراش منهوكة القوى. هل تزوج فنسانتي حقاً من قبل؟ ومن كانت زوجته؟ ومتى؟ وأين هي الآن؟ وهل لهما أولاد؟
وثقل رأسها لكثرة هذه التساؤلات وسواها. وأخذ العرق يتصبب منها والحرارة تصعد الى جبينها. لماذا لم يخبرها، بل تركها تعرف الحقيقة بهذه الطريقة الموجعة؟ هل كان هذا ما خشي منه سلفادور حين حاول اقناعها ان لا تأتي الى بيت رولينغز؟
جف حلقها وتمكنت من اشعال سيكارة كانت في حقيبة يدها. وأدركت انها يجب ان تشد عزيمتها لتستطيع حزم امتعتها. ولحسن الحظ لم تكن كل حوائجها خارج الحقيبة، بل كان قسم قليل منها فقط موزعاً هنا وهناك في الغرفة.
وعندما انتهت من ذلك خرجت من الغرفة واتجهت صوب باب غرفة الجلوس، وكانت ماريون وصاحبتها لا تزالان هناك تتحدثان. ولكن حين اقتربت منها سمعت اسمها يتردد على شفاههما، فتوقفت تتنصت. كانت تتوق الى معرفة ما تتحدثان به عنها، مهما كانت المحاذير.
قالت ماريون بهدوء:
ـ يبدو واضحاً ان دومينيك لا تعرف ما فعل جان. انني أشفق عليها على نحو ما، على الرغم من كل شيء. ذلك لأن سانتوس يستعملها للانتقام من جان على الضرر الذي ألحقه بايزابيلا...
وكان تعليق ماري على ذلك قولها:
ـ أعرف ذلك، وكل الناس يعرفونه على ما أعتقد... وكنا نخبرها لو انها كانت تثق بصدق كلامنا!
ـ على كل حال لم تسنح لنا الفرصة... وايزابيلا تلام بقدر ما يلام جان. يا لها من فتاة طائشة. هؤلاء النساء البرازيليات كلهن سواء... يعاملن كل شيء كأنه نازل من السماء!
ـ هذا صحيح... ودخولها الدير، على الأخص، ما هو الا حماقة ما

www.mlazna.com مرمورية

بعدها حماقة. وأنا متأكدة ان جان لم يشجعها على ذلك.

- بالطبع لم يشجعها. وما أتعس ان لا يستطيع الرجل ان يكون صديقاً لامرأة من دون ان تتصور انه مغرم بها.

- ومع ذلك، فاننا فوجئنا لردة فعل سانتوس في ذلك الحين. أعني انه لم يصرفه من العمل...

- الحق معك. ولكن من الواضح انه كان يفكر في طريقة اخرى للانتقام... غير ان ما لا استطيع فهمه هو لماذا كان عليه ان يتزوجها؟

وبللت ماري شفتيها بطرف لسانها وقالت:

- أظن كان عليه، في مجتمع صغير كهذا، ان يساير بعض التقاليد والأعراف. ولعله حاول ان يغريها فلم يستطع، ولذلك تزوجها...

فقالت ماريون:

- أصبت... والكارثة وقعت على جان المسكين، وهو الآن في حالة يرثى لها.

استندت دومينيك الى الحائط غير قادرة ان تصدق ما سمعته أذناها... على الرغم من انه بدا لها معقولا جداً.

وتذكرت تصرف فنسانتي نحوها في الليلة التي قضتها في ريو وذهبت فيها الى شقته، وكيف تغير صوته حين حدثها عن ايزابيلا بعد ان رأت صورتها هناك. وخطر لها ان عداوته لجان كانت أقوى من الغيرة منه لانه خطيبها. فهو لم يكن يغار منه، بل يحقد عليه، اذا صدق ما قالته ماريون وماري.

ووضعت يدها على جبينها في محاولة لاسترجاع ما حدث لها مع فنسانتي، فاعترفت انه بالفعل مال اليها وأحبها. غير ان ذلك ربما كان بدافع عاطفة عابرة. ففنسانتي بشهادة الجميع يهوى النساء الجميلات ويعرف كيف يغرر بهن.

والآن، اذا كان الأمر كذلك فما هو مستقبلها؟ وكيف ستقضي الأيام الآتية معه وهي في ريبة من أمر حبه لها واخلاصه في هذا الحب؟

توجعت دومينيك من هذه الخواطر السوداء القاتمة وبدأت تئن في داخلها. ولم تستطع ان ترى سبباً لزواج فنسانتي بها الا الانتقام من جان لما

فعله مع ايزابيلا. فهناك نساء جميلات جداً في البرازيل يمكنه ان يختار منهن زوجة له متى شاء، فلماذا اختارها هي الغريبة عن محيطه دون أولئك النساء جميعهن؟

ثم ان هناك زواجه الأول، والمرأة التي تزوجها!

وتمالكت نفسها، في آخر الأمر، واتجهت نحو داخل غرفة الجلوس وقالت لماريون:

- شكراً. حزمت حقائبي، وسلفادور ينتظرني في الطريق. وسأدعوه لحملها الى السيارة.

ولم تكد تنهي كلامها حتى دخل سلفادور فجأة من الباب وقال لها:

- هل أنت على استعداد للذهاب يا سيدتي؟

فأجابته بالايجاب. وحمل سلفادور حقيبتها ووضعها في السيارة، فيما انتظرت دومينيك مع ماريون وماري.

وسألتها ماري قائلة:

- متى ستذهبان لقضاء شهر العسل؟

- ربما فيما بعد. ونأمل ان نسافر الى اوروبا.

فقالت ماريون:

- هذا شيء جميل!

ولم تعد دومينيك قادرة ان تتحمل أكثر من ذلك، فودعتهما وسارت نحو الباب. ثم نزلت درجات السلم بسرعة واتجهت نحو الباب الخارجي، حيث كان سلفادور في انتظارها فركبت السيارة وهي ترتجف منفعلة بما جرى.

وفي الطريق لامت نفسها على ضعفها وتوتر أعصابها. فالآن يجب عليها ان تكون قوية، وتحتفظ بكامل وعيها ورباطة جأشها لمقاومة فنسانتي سانتوس ومنعه من التغلب والسيطرة عليها لمآربه الخاصة.

وأدرك سلفادور بحدسه ما طرأ عليها فسألها قائلا:

- ما بك يا سيدتي؟ ماذا قالت لك هاتان السيدتان؟

فأجابته بعصبية ظاهرة:

- لا شيء.

ـ أنا لست معتوهاً يا سيدتي. شيء ما حدث لك وازعجك كثيراً جداً.

فرمقته بنظرة وقالت له:

ـ أنت رجل داهية يا سلفادور...

ـ داهية؟ ما معنى هذه الكلمة؟

ـ تعني انك أكثر مني ذكاء وفطنة. فأنت لم ترد ان تدعني آتي الى بيت رولينغز لجمع حوائجي... لماذا؟ قل لي: لماذا؟

فأجابها وقد قبض على المقود بشدة:

ـ كان بامكانك ان تتركي هذا الأمر لي، فهو من واجبي!

فصاحت به والدموع تنهمر على خديها:

ـ من واجبك؟ ما هو واجبك نحوي يا سلفادور؟ هل هو لتحمي سيدك من النتائج السيئة التي تسفر عنها تصرفاته؟ أو هو ان تبني سوراً من المظاهر الخادعة حول الأعمال الشائنة التي ارتكبها في حياته؟

فأجابها سلفادور بهدوء:

ـ أنا لا أفهم ما تقولين يا سيدتي!

ـ نعم، تفهم. أنت تعرف اني سأكتشف الحقيقة عاجلا أم آجلا، فأردت ان اكتشفها آجلا لا عاجلا. فكلما طال الوقت بيني وبين اكتشافها طالت المهانة التي سأعانيها... أليس كذلك؟

فتجهم وجه سلفادور وقال:

ـ أنت شاردة الذهن يا سيدتي... ربما من شدة الحر!

ـ لا، ليس من شدة الحر... ليتني لم أكن على قيد الحياة!

تابع سلفادور طريقه باتجاه منزل سانتوس. وتناولت دومينيك سيكارة وأشعلتها بأنامل مرتجفة. وفيما هي تفعل ذلك حاولت ان تضبط نفسها وتريح أعصابها. فلا جدوى من وراء صب جام غضبها على سلفادور. واذا كان يلام على شيء، فانما يلام مداورة لا مباشرة. وخجلت من نفسها كيف تفقد توازنها هكذا في تصرفها معه، كان عليها ان تلزم مثله جانب الهدوء والتعقل، وبذلك وحده يصبح بامكانها ان تتحمل ما ينتظرها من معاناة.

وشعر سلفادور بمحاولتها السيطرة على نفسها، فقال لها:

ـ مهما يكن الكلام الذي قيل لك يا سيدتي، فاني أقترح عليك ان تنتظري حتى تسمعي الحقيقة بكاملها.

فرمقته دومينيك بنظرة قاتلة:

ـ ومن يخبرني هذه الحقيقة؟ أنت أم فنسانتي سانتوس؟

ـ كلانا يا سيدتي، ولماذا لا؟

ـ كيف أصدق رجلاً لم يتزوجني الا، الا...

وتوقفت عن متابعة كلامها، لأنها أبت ان تبحث الأمر مع سلفادور مهما كانت التجربة.

فقطب سلفادور جبينه وقال:

ـ أتعتقدين ان السيد سانتوس يتزوج بخفة واستهتار؟

ـ وماذا تعتقد أنت؟

ـ أعتقد انه لا يفعل ذلك!

وتطلعت دومينيك من نافذة السيارة وهي تتمنى ان يحدث عطل على السيارة فتهوي بها الى أعماق الوادي... سلفادور يقول أي شيء ليدافع عن سيده، وهي اذن لن تصغي الى تفسيره كيف تخلص سيده من زوجته الأولى.

وبدأت الآن تفكر بتعقل. ماذا يجب ان تفعل؟ كانت متزوجة لفنسانتي سانتوس، وليس من وسيلة لنقض هذا الزواج في تلك البلاد الغريبة. ففي يده كل الأوراق: القدرة والنفوذ والمال. وهي قدمت نفسها اليه، والآن حان وقت الذبيحة!...

ودخلت السيارة الى باحة ميناتيرا، فتساءلت دومينيك اذا كانت ساقاها تستطيعان حملها، حين نزلت من السيارة ومشت بسرعة عبر الشرفة. والتفتت الى الوراء فرأت سلفادور يتبعها حاملا حقيبتيها. وصعدت السلم بسرعة الى غرفة الجلوس فاذا بها وجهاً الى وجه أمام سانتوس الذي كان جالساً ينتظرها، فاحمر وجهها لهذه المفاجأة وتمنت لو ان الوقت سمح لها بتغيير ثوبها الأسود الذي جعلها تبدو مضحكة في ذلك الوقت من النهار.

فبادرها فنسانتي بالقول:

- أين كنت؟
- في بيت رولينغز.
- لماذا؟
- لأجلب حوائجي، طبعاً!
فقال لها فنسانتي ببرودة:
- كان بامكان سلفادور ان يجلبها لك.
- نعم، كان بامكانه ان يفعل ذلك، ولكني فضلت ان أجلبها بنفسي.
وهنا دخل سلفادور الغرفة وقال لها:
- سأضع حقائبك في غرفتك يا سيدتي.
فهزت رأسها قائلة:
- لا. لا تفعل! دعها في الممر.
فظهر الاستياء على وجه فنسانتي، وقال لسلفادور بحزم:
- خذها الى غرفتها يا سلفادور.
- نعم يا سيدي.
فازداد غيظ دومينيك. وقال لها فنسانتي:
- هل كان ذهابك الى هناك ضرورياً؟ يبدو واضحاً انك منزعجة من أمر ما، ولكن لا لزوم لفقدان السيطرة على نفسك هكذا بدون تعقل.
- بدون تعقل؟ هل هذا اعتقادك؟
ومشى فنسانتي الى خزانة الشراب وقال لها:
- اليك بكأس من الشراب، فلعله يريح أعصابك!
فحارت دومينيك كيف تتصرف، ولكنها عزمت على ان لا تفقد القليل من الاتزان الذي لديها امام هدوئه وبرودة اعصابه. وتساءلت هل يعرف ما وصل الى مسامعها؟ لا بد انه يعرف، كما يعرف ان ذلك لا بد ان ينفضح عاجلا ام آجلا.
وقالت له غاضبة:
- فنسانتي، لا تحاول ان تتظاهر بأنك لا تعرف ما أزعجني وكدر عليّ صفائي...

فالتفت نحوها قائلا:
- لا بد ان ماريون رولينغز بذلت جهدها للاصطياد بالماء العكر...
أحنت دومينيك رأسها، فتابع قائلا:
- انت اخبرتني مرة انني أعرف أي نوع من النساء هي... وأنت أيضا تعرفين...
- نعم، ولكن ما قالته لي لا نزاع عليه.
- هل انت متأكدة؟
- نعم، متأكدة جداً. هل تنكر انك تزوجت من قبل؟
ولم يظهر على وجه فنسانتي ما يدل على انه تأثر من كلامها. كان وجهه كالقناع، فتساءلت دومينيك هل تتوصل يوماً الى النفاذ خلف ذلك القناع؟ ففي الليلة الفائتة ظنت انها اكتشفت فنسانتي الحقيقي، فنسانتي الذي لم تستطع أولئك النساء، بكل مهارتهن، ان يكتشفنه... اما الآن فهي لم تعد متأكدة من صحة اكتشافها.
وقال لها فنسانتي:
- انا لا أنكر اني تزوجت مرة... فهل هذا هو سبب كل هذه التظاهرة؟ أيثيرك الى هذا الحد؟ يا الهي، اي علاقة له بنا نحن؟
فحدقت به دومينيك قائلة:
- كان عليك ان تخبرني.
- لو أخبرتك، هل كان ذلك منعك عن الزواج بي؟ بربك يا دومينيك لا تكوني فتاة رعناء...
وخطى بضع خطوات ذهاباً وايابا، ثم تابع كلامه قائلا:
- لماذا يزعجك زواجي سابقاً؟ كنت فتى طائشاً، والآن تعلمت من أخطائي.
فقالت دومينيك وهي ترتجف قليلا:
- وهل كنت تحبها؟
فالتفت اليها بامعان وأجاب قائلا:
- أحبها؟ ما هو الحب؟ هل لديك فكرة عن الحب؟ من المؤكد انه ليس

هذه العاطفة المائعة التي تدّعين انك تشعرين بها نحوي... هذه العاطفة التي تتزعزع من أساسها بمثل تلك المعلومات التافهة.

فصاحت دومينيك قائلة:

ـ هذا ليس كل شيء...

ـ وماذا بعد؟ أية أفعال شائنة ارتكبت؟ ماذا سمعت منها؟ وهل دافعت عني؟ أليس هذا ما تفعله المرأة المخلصة لزوجها؟

فأجابته قائلة:

ـ لم أتحدث اليهن بذلك... وأنا سمعته خفية!

ـ قولي، ماذا سمعت؟

فتمتمت قائلة:

ـ ما لنا ولهذا الآن. أريد ان أسألك لماذا تزوجتني؟

فتأوه فنسانتي وأجاب قائلا:

ـ ألا تعلمين لماذا؟ أنا متأكد انك تعلمين... تزوجتك لأنتزعك من هاردنغ...

ـ كلا، كلا، ليس هذا هو السبب... لا أصدق!

ـ ألا تصدقين؟

فابتعدت دومينيك وغطت وجهها بيديها وهي تصيح قائلة:

ـ يا الهي! ليتني لم أكن على قيد الحياة!

فسارع فنسانتي الى الاقتراب منها، وأمسكها بكتفيها بعنف وأدار وجهها نحوه وقال:

ـ هذا ما أردت سماعه مني، بعد ان سمعته من ماريون رولينغز، أليس كذلك؟

ـ نعم.

ـ ظننت ذلك. يا لها من امرأة نمامة!

وتطلعت اليه دومينيك وسألته متعجبة:

ـ كيف تقف هنا هكذا، كأن الأمر لا يعنينا ولا يؤثر على حياتنا. لماذا... لماذا؟

ـ ألا تعرفين الجواب على ذلك أيضاً؟ ألم تسمعي ماريون وصاحبتها

تذكران ايزابيلا في حديثهما؟

فأجابته دومينيك قائلة بغيظ:

ـ انك عن عمد تضعني في موقع الدفاع عن النفس، وأنت تعلم ان أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم!

فأجابها ببرودة:

ـ اهجمي، اذن! وما هو سلاحك؟ هل تعلمين الى أي حد وصلت علاقة هاردنغ بأختي ايزابيلا؟ وهل تعلمين لماذا دخلت الدير؟

ـ هل تعلم أنت؟

ـ نعم، أعلم. ولكن لا تظني ان اقراري بهذه الحقيقة هو بمثابة اعتراف. فأسباب زواجي بك هي شأني الخاص، مهما تكن هذه الأسباب.

فقالت دومينيك بعد تردد:

ـ أتريد ان تقول اني على خطأ؟ وماريون كذلك؟

فاستدار نحوها وحدق اليها بعينين حادتين وقال:

ـ وماذا لو أردت ان أقول ذلك؟ هل تعتقدين انه بامكانك ان تأتي الى هنا لتتهميني انني خدعتك، لا بأسباب زواجي بك فقط، بل أيضا باخفائي زواجي سابقاً عنك... وهو زواج عزمت على نسيانه، حتى اذا ما أنكرت هذه الاتهامات استعدت احترامك لي، بحيث أقبل ثقتك بي مرة ثانية!

وضرب فنسانتي بقبضته اليمنى على كفه اليسرى وتابع قائلا:

ـ لا، لا. هذه الاتهامات موجودة، والشك قائم. ولم أكن أعتقد...

ولم يكمل عبارته الاخيرة، بل صاح بها:

ـ اخرجي من أمامي!

فسارت دومينيك الى مدخل الممر والتفتت اليه. واستولت عليها الرهبة وكرهت نفسها لأنها ارادت ان تستعيد ثقتها به. كان غضبه صادقاً، ومرارته صارخة. فهو اما ان يكون ممثلا بارعاً، أو انها أخطأت في الحكم

www.liilas.com

عليه...

وصاح بها قائلا مرة أخرى:

- اخرجي!

- من ميناتيرا؟

- لا، ليس من ميناتيرا. انت زوجتي، وزوجتي ستبقين، أشئت أم أبيت. أتحسبين اني اجعل نفسي أضحوكة للناس بطرحك خارجاً، استناداً الى شائعات كاذبة سمعتها انت من امرأة كالأفعى، ثم جئت ترددينها على مسامعي؟ لا، لا يا دومينيك! ولو كنت الرجل الذي تعتقدين اني هو، لسهل عليك ان تفهمي ما أقول. لم أنته منك بعد، وأنت لا تستطيعين ان تتصوري الهوان الذي أنزله بك اذا أردت!

فوضعت يديها على أذنيها وصاحت به:

- كفى! كفى!

- لماذا؟ ألا يحق لي ان أفرج عن خيبتي وضيق نفسي بالاعراب عن غضبي عليك؟ وسترين كم أنا قاسٍ لا أرحم اذا ما اعتدي عليّ!

فصاحت بصوت مرتجف:

- أتهددني؟

- نعم. والآن اذهبي ورتبي حوائجك في غرفتنا...

- ألا تعتقد انه لم يعد بامكاننا ان نعيش معاً تحت سقف واحد؟

- ان نكون معاً... هذا ما تقصدين، أليس كذلك؟ نعم يا دومينيك، بامكاننا ان نفعل ذلك. فكما قلت لك: انت زوجة سانتوس، وأنا اعتدت ان احتفظ بما عندي!

فهزت دومينيك رأسها وقالت:

- لا تستطيع أبداً ان تجبرني على ذلك!

- لا استطيع؟ سنرى. والآن اخرجي!

وصعدت السلم وهي ترتعش من الغيظ والألم. والتقاها سلفادور وقال لها:

- خذي حذرك يا سيدتي... ولا تحكمي على رجل الا بناء على خبرتك انت معه!

قال ذلك ونزل السلم بسرعة، فيما تبعته دومينيك بنظراتها الحائرة وهي تلعن الساعة التي ذهبت فيها الى بيت رولينغز.

www.mlazna.com مرموريـة

٨- الكارثة

كانت الحقائب في وسط غرفة النوم الزرقاء الذهبية، حين دخلت دومينيك الغرفة وأغلقت الباب. أمور كثيرة حدثت ذلك اليوم وكان من الصعب، لا بل من المستحيل عليها ان تحاول فهم أبعادها وهي في تلك الحال من الارتباك والفوضى. وكما ان البارحة أسفرت عن شيء مثير وممتع، فكذلك أسفر اليوم عن كارثة فادحة. فهي لم تكتشف أموراً لا تصدق عن زوجها فحسب، بل قضت أيضاً على كل ما كان يقربها اليه. ولم تشك في صدق تهديده لها بالانتقام منها، ذلك لأنها كانت دائماً تحس بشيء من البدائية الكامنة في طبيعة شخصيته.

وجلست على مقعد هناك بجانب النافذة المطلة على الوادي العميق وهي تشعر بالبرودة تسري في مفاصلها، على الرغم من شدة الحر في ذلك

اليوم. وتساءلت ماذا سيحل بها يا ترى؟ كيف يمكنها التعايش مع رجل خدعها وأصبح الآن يكرهها؟ وتأوهت مستغربة كيف انها منذ ثلاثة أسابيع كانت تستعد بحماسة لهذه الرحلة الى البرازيل، وها هي الآن متزوجة ببرازيلي لا تعرفه جيداً ولا تفهمه، وفي الوقت نفسه يهددها بالهلاك... غير انها، مع ذلك كله لا تزال عالقة بحبه! وهنا يكمن مصدر الألم الذي تعانيه.

فحتى كلام ماريون الخبيث لم يستطع ان يقضي على ذلك الحب. واذا كانت شعرت بالمهانة للأسباب التي حملته على الزواج بها، فذلك لخيبة أملها، لا لأي شيء آخر له صلة بايزابيلا أو جان.

وفكرت انه لو كان فنسانتي غائباً حين رجعت الى المنزل من زيارتها الى بيت رولينغز، وأتيح لها ان تجلس وتتأمل قليلا في ما سمعته عن زوجها، لوجدت نفسها في حالة نفسية تمكنها من التصرف بتعقل، فلا تعامله كأنه وحش مفترس. لو انها فكرت بالأمر ملياً لاستطاعت ان تخفي استياءها ومرارتها التي سبّبها كلام ماريون. فقبل كل شيء، حبها لفنسانتي هو الذي يجب ان يكون على جانب كبير من الأهمية لها. وعلى افتراض انه وجد في نزعها من يد جان تلبية لغريزة الانتقام، فمن يدري؟ فلعل له أسبابه الوجيهة.

نهضت من مقعدها وهي تشعر بالبؤس الشديد، واتجهت نحو الطاولة وتناولت سيكارة وأشعلتها بأنامل مرتجفة. فمهما فكرت، ومهما وجدت له من أعذار لتصرفاته، تبقى الوقائع الثابتة، وهي وقائع لا يمكن لها التغاضي عنها أو قبولها. فهو خدعها عن سابق عمد وتصميم، وبادر الى اغرائها منذ وقع نظره عليها في المطار. ومع انها تعلم انها امرأة جذابة، الا انها ليست تلك المرأة التي لا يمكن ان ينجو رجل من الوقوع في شباكها. واذن، فلا بد ان يكون كلام ماريون صادقاً. أضف الى ذلك ان لا دخان بلا نار كما يقال.

وبعصبية شديدة أخذت تفتح حقائبها وتخرج ثيابها. ففي الوقت الحاضر لم يكن لها سوى القبول بالأمر الواقع، كما قال لها فنسانتي. وما عليها، اذن، الا ان تعالجه بالحسنى. فمن يدري ما تخبئه الأيام؟ ولكن

هناك شيئاً مؤكداً، وهو انها عاجلا أم آجلا، يجب ان تتحدث مع جان لتكتشف بنفسها حقيقة العلاقة التي كانت بينه وبين ايزابيلا سانتوس، حتى لا تبقى في الظلمة كما كانت الآن.

وبعد ان علقت كل ثيابها في الخزانة، استحمت وبدلت ملابسها وتزينت. وعلى الرغم من ذلك، فانها بدت متعبة شاحبة اللون وقلقة مما سيجابهها تلك الليلة.

وحين نزلت السلم، لم تجد فنسانتي هناك، بل وجدت سلفادور قادماً الى غرفة الجلوس ليعلن لها ان طعام العشاء جاهز. فقالت له:

ـ أين... أين زوجي يا سلفادور؟

فانحنى سلفادور أمامها كالعادة وأجاب قائلا:

ـ السيد سانتوس سيتعشى خارج البيت هذه الليلة، يا سيدتي.

ولم تستطع دومينيك ان تصدق ما سمعته أذناها. فبعد الغضب الذي أظهره قبلا، بالاضافة الى عدم مجيئه الى تغيير ثيابه، ظنت انه لا بد أن يكون جالساً في مكان ما في الطبقة السفلى يفكر ويتأمل.. ولكنها الآن، عندما علمت انه خرج ولن يعود لتناول طعام العشاء معها، شعرت بأنه سدد ضربة الى الجهد الذي بذلته في ارتداء ثيابها والظهور بمظهر لائق.

وسألت سلفادور بقلق شديد:

ـ هل تعرف... هل تعرف أين ذهب؟

ـ لا أعرف يا سيدتي.

فاستولت عليها الخيبة وصاحت بسلفادور:

ـ بربك يا سلفادور، ألا يمكنك ولو لهذه المناسبة فقط ان تذيع سراً يتعلق به! أنا زوجته كما تعلم!

فشبك سلفادور أصابع يديه وأجابها قائلا:

ـ صدقيني يا سيدتي، اني لا أعرف أين ذهب السيد سانتوس.

فبدا الاضطراب على دومينيك وأخذت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً، فاقترب منها سلفادور وقال لها:

ـ عليك ان تتمسكي بالصبر يا سيدتي، لئلا...

فقاطعته قائلة:

ـ لئلا ماذا؟

ـ لئلا تسوء صحتك... وهذا لا يفيد في شيء.

فتوقفت وحدقت اليه دامعة العين، دون ان تتفوه بكلمة. فقال لها:

ـ الطعام جاهز يا سيدتي في الغرفة الصغيرة، فهل تأتين الآن؟

فترددت قليلا ثم سارت أمامه الى الغرفة. فجلست الى المائدة وأخذت تأكل بصمت.

ولم تأكل من الطعام الا قليلا. فسحر الطبيعة حولها، ودفء نسيم الليل العليل، وشذى الزهور خارجاً في الحديقة، لم يعد يعني لها شيئاً. كانت غارقة في تأملاتها المقلقة وتساؤلها عن مكان وجود فنسانتي. هل لجأ الى احدى النساء اللواتي يعرفهن، طلباً للهو والنسيان؟ لو كان يحبها حقيقة لما كان يلجأ الى أحد.

وقامت عن المائدة وسارت الى الشرفة وجلست على حائطها وهي تتنهد. في الليلة الفائتة كانت معه، اما في هذه الليلة، فهي وحيدة، مهملة، سواء وقع عليها اللوم أم لا. وعلى كل حال، فهو عاجلا أم آجلا سيضجر منها، وعندئذ...

وشعرت بحاجتها الى البكاء... البكاء عليها وعلى فنسانتي، بل فوق كل شيء على الحلم الذي لم يتحقق. فها هي الآن غريبة في بلاد غريبة. لا صديق ولا مهرب لها مما تعانيه. ولم تعد سيدة مصيرها، منذ اللحظة التي قبلت فيها ان تصبح زوجة فنسانتي سانتوس.

وفي ساعة متأخرة أوت الى فراشها، وحين وصلت الطبقة العليا شاهدت سلفادور يخرج من الغرفة التي احتلتها في الليلة الأولى من وجودها في القصر، فتساءلت اذا كان للغرفة مفتاح، فهذا شيء مهم لها الآن. فبعد الذي حدث في الساعة الأخيرة، لم تعد تتحمل رجوعه الى المنزل، ربما من عند امرأة أخرى، ليجدها تنتظره بفارغ الصبر في غرفة النوم الرئيسية، كما لو كانت عبدة مطيعة خاضعة لسيدها.

ودخلت الغرفة المخصصة للملابس، بعد ان ودعت سلفادور. ثم أغلقت الباب وانتظرت حتى سمعت وقع خطواته وهو ينزل السلم. وعندما ساد السكون أسرعت الى الغرفة الرئيسية وأخذت ثوب النوم

واجتازت الممر الى غرفة النوم الصغيرة، فاذا الفراش مرتب وجاهز. ودخلت غرفة الحمام للاغتسال وتنظيف أسنانها.

وفيما هي هناك سمعت نقراً على الباب، فقفزت مرتعبة واتجهت نحو الباب فلما فتحته وجدت نفسها وجهاً لوجه مع سلفادور.

فقالت له بحيرة:

ـ نعم؟

ـ لماذا تستعملين هذا الحمام يا سيدتي؟

فانتصبت دومينيك وأجابته قائلة بغضب:

ـ الخدم لا يسألون مثل هذا السؤال...

ولكنها سرعان ما ندمت على موقفها، فاعتذرت قائلة:

ـ انا آسفة يا سلفادور... ولكنك لم تمد الي يد العون هذه الليلة.

فانبسطت أسارير وجهه بعد تجهم وقال:

ـ من الخير لك يا سيدتي ان تنامي في الغرفة الرئيسية... اياك ان تظني انك تستطيعين ان تتغلبي عليه بالتحدي!

فأجابته قائلة:

ـ اذا نمت في هذه الغرفة، فسأقفل الباب.

ـ وهل تظنين ان اقفاله يمنع سيدي من الدخول؟ لا يا سيدتي، الأبواب تقفل في وجه الرجل الضعيف. اما الحيلة والدهاء فمن شيم الرجل القوي!

ـ الحيلة والدهاء؟

ـ أرجوك يا سيدتي ان تنامي في الغرفة الرئيسية!

فترددت دومينيك وتمتمت قائلة:

ـ آه، ليتني أعرف ماذا عليّ ان أفعل!

فهز سلفادور كتفه وقال:

ـ أنت زوجة سانتوس الآن يا سيدتي. وأمامك الكثير مما تقدرين ان تفعليه.

ـ نعم، ولكن ليس الأشياء التي أريد ان أفعلها. فأنا غير متأكدة ماذا ينوي فنسانتي ان يفعل. فهو رجل شاذ في تصرفاته.

فابتسم سلفادور قائلا:

ـ ما عليك، اذن، يا سيدتي، الا ان تنتظري لتعرفي بنفسك، فأنت غير شاذة في تصرفاتك!

ـ ليتني لم أكن كذلك.

ـ لا، ليس هذا صحيحاً. فهناك مثل صيني يقول: من يركب النمر لا يجرؤ على النزول عنه. وأنت مثل من يركب النمر يا سيدتي، لا تستطيعين ان تهربي من مصيرك!

ـ وهل هناك من يستطيع؟

ـ كلا. ولكن هناك من يظن انه يستطيع السيطرة عليه!

ـ وهل زوجي من هذا النوع؟

ـ أعتقد ان سيدي لا يعرف ماذا في حوزته... وهو لم يكتشف بعد قيمته الثمينة!

فابتسمت دومينيك بصعوبة وقالت له:

ـ شكراً لك يا سلفادور... كنت أخشى ان تتخلى عني!

ـ لو كنت أعرف أين سيدي الليلة لكنت أخبرتك. فأنت زوجته ومن حقك ان تعرفي أين هو... وأنا لست عديم الشعور يا سيدتي.

ـ هذا هو اعتقادي... وأنا آسفة على ما بدر مني نحوك من خشونة.

فهز سلفادور رأسه وقال لها:

ـ خذي قسطك من النوم يا سيدتي. فغداً يوم آخر.

ولم تنم دومينيك تلك الليلة نوماً هانئاً. فالفراش بدا لها عريضاً وفارغاً، وأعصابها كانت شديدة التوتر، يزعجها أقل الأصوات خفوتاً. وفي الصباح استفاقت على هدير محرك سيارة دخلت باحة القصر.

ففتحت عينيها وتنصتت لسماع وقع خطوات على السلم في اتجاه غرفتها. غير ان المحرك توقف وانغلق باب السيارة. ثم ساد سكون. وشدت دومينيك قبضتيها وقالت في نفسها: اذا كان عائداً اليها، فلماذا يعود؟ ألا يعلم شعور القنوط الذي يستولي عليها؟ ألا يعرف انها ملتاعة مذعورة، ليس منه فقط، بل من عواطفها التي لا يؤمن جانبها؟

وامتد السكون الى ما لا نهاية، فكان لا بد لها من الاسترخاء قليلا.

ونظرت الى ساعتها فاذا هي تجاوزت الثانية فتنهدت وتساءلت ماذا تراه يفعل الآن؟ هل هذه هي طريقة أخرى يستخدمها في سبيل تعذيبها؟ فاذا كان الأمر كذلك، فهي طريقة ناجعة أسفرت عن نجاح باهر.

واستلقت على فراشها وهي بين اليقظة والمنام. وفي الساعة السابعة نهضت واستحمت ولبست ثيابها وتزينت ونزلت السلم الى الطبقة السفلى.

كان هنالك أصوات في غرفة الطعام، فوقفت في الباب تتسمع الى فنسانتي وسلفادور يتحادثان. وكان فنسانتي جالساً الى المائدة وسلفادور يقوم بخدمته.

ونهض فنسانتي بلطف للترحيب بها، ولما جلست الى المائدة، عاد هو الآخر الى الجلوس.

ونظر فنسانتي الى سلفادور قائلا:

- هات خبزاً اضافياً وقهوة جديدة يا سلفادور.

فأطاع سلفادور. وفيما هو يخرج، بعد ان حيّا دومينيك تحية الصباح، قالت له:

- تكفيني القهوة يا سلفادور، شكراً.

وكان فنسانتي انتهى من تناول طعامه وهمّ باشعال سيكارة، بعد ان سكب لنفسه فنجاناً من القهوة.

وقال لها:

- هل نمت نوماً هادئاً؟

- نعم، شكراً. وانت؟

- لا بأس... عسى ان لا يكون أيقظك هدير محرك السيارة.

ولم تشأ دومينيك ان تترك له مجال التشفي، فسألته قائلة:

- السيارة؟ أية سيارة؟

وأدرك فنسانتي انها تحاول خداعه، فابتسم بشيء من السخرية. ودخل سلفادور بالطعام، فوضعه على المائدة قرب دومينيك وسألها اذا كانا يريدان شيئاً آخر. ثم خرج بعد ان رمق دومينيك بنظرة ذات مغزى.

وتأمل فنسانتي زوجته ملياً وقال لها:

- يبدو انك سرقت مني ولاء سلفادور!

- أشك في ذلك كل الشك.

- صحيح؟ ولماذا لا؟ فأنا وحش مفترس، وليس بمستغرب ان يجد سلفادور فيك سيداً آخر، رقيق القلب، حلو المعشر!

فصاحت دومينيك:

- كفى! هذا كلام هراء... ها نحن جالسان هنا نتجاذب حديثاً تافهاً، فيما الموضوع الأساسي الذي يشغل بالنا يلفه الصمت. يجب ان تحدثني يا فنسانتي عن هذا الموضوع لأعرف موقعي من ذلك كله!

- وأنا... ما هو موقعي؟

- لا أفهم ما تقول!

- ألا تفهمين؟ أظنك تفهمين جيداً. أنت بدأت هذه المشكلة لا أنا.

- كيف تقول ذلك؟ أنا نقلت اليك ما سمعته، لا أكثر ولا أقل!

- وكيف نقلته؟ كنت كمن فقد عقله حين رجعت الى هنا البارحة وأخذت تتهجمين وتتهمين دون روية ولا تعقّل او تبصّر... أصغيت الى تلك المرأة الأفعى وصدقت كلامها كل التصديق، على الرغم من انك تعلمين سوء سمعتها في الدسّ والثرثرة.

- ولكنك لم تساعدني، بل تركتني أنقل اليك ما نقلت، من دون ان تحاول اعطائي أي تفسير.

ووقف فجأة على قدميه وقال:

- ولماذا أدافع عن نفسي أمامك؟ أنا لا أقبل ان أعطي عن نفسي حساباً لأحد!

- ولكني زوجتك يا فنسانتي!

فرمقها بنظرة عاجلة واتجه نحو النافذة وأخذ يتطلع الى البعيد. وأما دومينيك فأشعلت سيكارة وراحت تنفث دخانها وتحتسي قهوتها. وحاولت ان تتصور كيف تكون الحال اذا مضت أيام وشهور، بل سنوات، على هذا النوع من العلاقة بينها وبينه.

وأرادت ان تسأله أين أمضى ليلته، غير انها شكت في ان يجيبها على سؤالها.

ثم التفت اليها وقال:

www.mlazna.com مرموريـة

- يجب ان أذهب الى المصفاة اليوم... وأنت ماذا ستعملين؟
- لا أعلم.
- أريد ان يكون واضحاً لك اني لا أريدك ان تذهبي الى بيلافيستا مرة ثانية من دون إذني.
قال ذلك بصوت في مثل برودة الصقيع.
وثارت ثائرة دومينيك. كيف يحق له بعد كل ما جرى ان يفرض عليها روحانها وغدواتها؟ فرفعت نظرها اليه وقالت:
- اذا شئت أنا ان أذهب الى بيلافيستا، فسأذهب.
فأسند فنسانتي ظهره الى النافذة وقال:
- أمتأكدة أنت من ذلك؟
- نعم. فماذا تفعل؟ وكيف تمنعني؟ هل تقيدني بالسلاسل، أم تقفل عليّ الغرفة؟ أخائف أنت من ان أسمع عنك مزيداً من المعلومات السيئة؟
فصاح بها غاضباً:
- اياك ان تخاطبيني بمثل هذا الاسلوب!
وكانت دومينيك تكتسب قوة من السماح لبعض معاناتها وغضبها ان يخرج منها. كان ذلك نوعاً من تنفيس الاحتقان الذي كان يعتمل في داخلها. وعزمت ان لا تتخلى عن موقعها مهما كانت النتائج.
فصاحت به وهي تقف على قدميها:
- لي الحق ان أخاطبك كيفما أريد. فحتى الآن كنت خاضعة لك، راضية ان تأخذ المبادرة، ان لا تفسر لي تصرفاتك الا بالغضب. اما الآن فكفى. ويبدو لي انك تنسى اني لست واحدة من نسائك البرازيليات اللواتي نشأن على الاذعان لمشيئة الرجل... أنا انكليزية، وفي انكلترا يعامل الرجال النساء كبشر، لا كأدوات للمتعة والخدمة.
اجتاز فنسانتي الغرفة واقترب منها. وحدق اليها بعينين معذبتين، ثم قبض على كتفيها بعنف وهو يصيح بها:
- توقفي عن هذه العواطف الهستيرية. أنت لا تعلمين ما تقولين. أنت تظنين انني أخفي عليك المزيد من مساوئي لأنني لا أعتذر اليك، دونما حاجة الى الاعتذار، عن شيء لا علاقة له أبداً بنا... كبري عقلك يا

دومينيك. أنت امرأة ناضجة الآن، لا طفلة رعناء... وأنا رجل، ولا أبالي ان أعامل كحيوان!
فنظرت اليه دومينيك وقالت:
- اخبرني قصة جان وايزابيلا!
فأفلتها فجأة وقال:
- يبدو لي واضحاً انك لم تسمعي كلمة واحدة مما قلته لك الآن. أليس في كيانك كلّه ذرة واحدة من الثقة بي؟
فترددت دومينيك، كان فنسانتي قادراً في كل لحظة ان يثير المخاوف والشكوك في نفسها... وهو استطاع الآن ان يخضع رغبتها العاتية في ايذائه كما آذاها.
فقالت له بمرارة:
- أنت تريد مني خضوعاً كاملا.
- أريد امرأة، لا محققاً قضائياً... لماذا تشغلين بالك بالذي مضى؟ ان المستقبل هو الذي يعنينا!
- المستقبل؟ أي مستقبل؟
- نعم، المستقبل!
- اذن، دعني أذهب.
- أدعك تذهبين؟ ماذا يعني هذا الكلام؟ تريدين ان تتحرري مني؟ هل هذا ما تطمحين اليه؟ أتريدين حريتك لتعودي الى هارديغ؟
وكانت دومينيك تدرك جيداً أنها لن تعود الى جان، ولكن لم يكن من الضرورة ان يعرف فنسانتي هذه الحقيقة. وتمسكت بكبريائها الفارغة فقالت:
- وهل تجد ذلك مستحيلا؟ فهو، رغم كل شيء، خطيبي وكان يحبني!
فتجهم وجهه من شدة الغيظ وصاح قائلا:
- ذلك الانكليزي لا يعرف معنى كلمة حب.
- وهل أنت تعرف؟
فحدق اليها بنظرة غريبة وسار الى الباب وهو يقول:
- نعم أعرف.

غادر الغرفة، تاركاً اياها وحيدة وحائرة كل الحيرة.

ومر النهار ببطء لا يحتمل. وجالت دومينيك من غير هدى في ارجاء القصر، تلامس شيئاً هنا وتصلح من حال شيء هناك. وتقطف بعض الزهور وتوضبها وتضعها في مزهريات توزعها في غرفة الجلوس. ولبست ثوب السباحة واستلقت على ضفاف المسبح. غير ان السلام الداخلي بقي بعيداً عنها.

وعند العصر، حين كان النحل يتنقل مترنحاً بين الزهور، ودومينيك مستلقية في مقعد مريح على الشرفة وبعض المجلات الى جانبها وعلى ركبتيها، رن جرس التلفون. فانتصبت جالسة ورأت سلفادور يتجه نحو الجهاز بخطى وئيدة. فرفع السماعة وتحدث قليلا ثم أقبل نحوها قائلا:

ـ هذه المكالمة لك يا سيدتي... من المصفاة.

فقطبت دومينيك جبينها وقالت:

ـ لي أنا؟ من المتكلم يا سلفادور؟ فنسانتي؟

ـ كلا، ليس السيد. أرجوك ان تجيبي على المكالمة الآن.

فهزت رأسها قائلة:

ـ كائناً من يكون، يا سلفادور، أجب انت على هذه المكالمة ثم اخبرني بمحتواها... فأنا لا أريد ان أكلم أحداً.

ـ ولكن يجب ان تفعلي يا سيدتي. فالأمر خطير!

فتنهدت وأجابت:

ـ أنت تعلم يا سلفادور اني لا أريد ان أسمع صوت أحد في هذا اليوم.

ـ انه السيد ريفاس، يا سيدتي.

ثم أخذ يدها وأنهضها. فسارت الى جهاز التلفون ورفعت السماعة الى أذنها وقالت:

ـ انا دومينيك... دومينيك سانتوس.

ـ آه... دومينيك؟ أشكر الله على وجودك حيث أنت. لدي خبر سيء لك... وقع حادث مشؤوم في المصفاة!

وفي الحال شعرت دومينيك بدوار في رأسها، فاستندت الى الطاولة وصاحت:

ـ حادث مشؤوم؟ ماذا حدث يا سيد ريفاس، هل أصيب زوجي بأذى؟

ـ نعم، نعم. ولكنه نجا، وهو على قيد الحياة.

فاستولى عليها الذهول والرعب. وتسمرت في مكانها غير قادرة على الحراك. فأقبل سلفادور الى نجدتها من السقوط. وتابعت كلامها الى ريفاس قائلة:

ـ اخبرني بالتفصيل ماذا جرى له... أين هو... أريد ان أراه!

وفجأة شعرت ان شجارها ذلك الصباح لم يعد ذا قيمة. كل ما همها الآن هو حاجتها اليه والرغبة الجامحة لمعرفة مدى الأذى الذي أصابه.

وأجابها ريفاس قائلا:

ـ لا تستطيعين ان تريه يا دومينيك. هو الآن في طائرة مروحية متجهة الى المستشفى في ريو دي جانيرو. فالمستشفى هناك يتمتع بوسائل صحية للمعالجة أفضل من مستشفى بيلافيستا.

ـ ولكن ماذا أصابه؟ أرجوك ان تخبرني.

ـ أصابه بعض الحروق من الانفجار الذي حدث.

ـ الانفجار؟ وكيف حدث ذلك؟

ـ هذا ما سأحاول الآن معرفة أسبابه. اما الآن فيجب ان أهتم بصحة فنسانتي. كان محتفظاً بوعيه حين ركب الطائرة، وأنا لم أخبرك قبل الآن نزولا عند اصراره. فهو لم يشأ ان تهرعي الى المصفاة كما أعتقد انك لا بد ستفعلين.

وشعرت دومينيك بألم شديد يلف كيانها كله. فهو حتى لو كان مشرفاً على الهلاك لا يريدها ان تكون بقربه. فهل من ألم أقسى من معرفة عدم حاجته اليها؟

فأجابت ريفاس قائلة بصوت متهدج:

ـ وماذا عليّ ان أفعل؟

ـ عليك ان تنتظري حتى المساء، ثم خابري المستشفى بالتلفون واستعلمي منه عن حال فنسانتي.

فصاحت دومينيك:

- ولكني يجب ان أراه الآن... يجب ان أراه!

- لا أظن انه يريدك ان تريه الآن يا دومينيك. فالحروق أصابت وجهه... وعليّ ان أنذرك يا دومينيك ان حروقه خطرة.

وزاد اضطراب دومينيك وهي تقول له:

- هل تعتقد ان منظره يهمني؟ فأنا أحبه كيفما كان يا سيد ريفاس، حتى لو ظهر بمظهر الوحش!

- هل أنت واثقة من ذلك يا دومينيك؟ كان فنسانتي رجلا وسيماً جداً.

ولاحظت دومينيك انه لفظ كلمة «كان» فازداد قلقها وفروغ صبرها وأجابته قائلة:

- نعم أنا واثقة. أرجوك ان تعطيني اسم المستشفى، وأنا أقرر بنفسي ماذا عليّ ان أفعل.

- انه مستشفى سانت اغسطين. ولكن انتظري يا دومينيك قليلا وفكري جيداً قبل ان تقدمي على عمل ما.

- انتظر وأفكر؟ وبماذا أفكر؟

- فنسانتي لا يريدك ان تهرعي الى رؤيته. هذا ما طلبه وتمناه. فعلى الأقل أعطيه الوقت الكافي ليتقبل الضرر الذي لحق به.

فصاحت به دومينيك:

- انت تطلب مني المستحيل يا سيدي.

- أصحيح هذا؟ الأمور، يا صغيرتي، ليست على ما يرام بينك وبين فنسانتي، وأنا أعرف ذلك.

- كيف عرفته؟

- في الليلة الفائتة جاء فنسانتي الى بيتنا وتعشى معنا. كان مضطرباً جداً. وبقي الى ساعة متأخرة من الليل، وهذه ليست حال رجل في بداية زواجه... فنحن لسنا بلهاء يا دومينيك!

فتنهدت دومينيك بشيء من الارتياح. فهي على الأقل عرفت أين قضى ليلته الفائتة، وكل ما تخيلته عن ذلك كان لا أساس له من الصحة. ولكن، لماذا تفكر دائماً بالأسوأ حين تفكر فيه؟ ولماذا هذه الشكوك والمخاوف التي تساورها؟

وصرفت عنها هذه الخاطرة وركزت على المشكلة التي أمامها، فقالت لريفاس:

- أعدك بأن أتأمل في كل ما قلته لي... ولا أعدك بأكثر من ذلك.

- لا بأس. أرجو لك صبراً جميلا..

وبعد ان ألقت السماعة قالت لسلفادور:

- كيف أجد رقم تلفون مستشفى سانت أغسطين في ريو؟

فأجابها سلفادور منبهاً:

- أرجو ان تكوني أصغيت لكلام السيد ريفاس جيداً.

- نعم، أصغيت... هل أخبرك أنت تماماً بما حدث؟

- اخبرني باختصار. والسيد سانتوس كان حريصاً على ان لا تقابليه من دون ان يعرف ذلك مسبقاً.

فتراجعت دومينيك خطوة الى الوراء وقالت له:

- ماذا تعني؟

- أما أخبرك ريفاس نفسه بذلك؟

- نعم أخبرني، ولا أظن انك توافقه. فمن الواضح انه يجب عليّ أن أرى فنسانتي.

- لماذا؟ لا يمكنك ان تفعلي شيئاً. وأرجوك يا سيدتي ان لا تصري على هذا الأمر.

فصاحت به:

- انت رجل صعب المراس يا سلفادور. وعلى كل حال لا يمكنني ان أصل الى ريو من دون مساعدتك... والآن كل ما أريد ان أعرف هو كيف حاله.

- أعطي الأطباء فرصة يا سيدتي. ويمكنك ان تتلفني بعد العشاء!

وراحت دومينيك تذرع الغرفة ذهاباً وايابا وتفكر في الأمر، ثم قالت متذمرة:

- كان يجب ان يخبروني حالما وقع الحادث. انا زوجته، ولي الحق ان أعلم كل شيء عنه، وان أكون برفقته... وأنت يا سلفادور يجب ان تدرك شعوري قبل كل الناس.

ـ نعم يا سيدتي. وأنا متشوق لمعرفة كل التفاصيل عن وقوع الحادث. ولكن ليس لنا غير الانتظار. فلا وجود لطائرة مروحية أخرى هنا، والتلفون هو صلتنا الوحيدة بالمستشفى.

ـ هناك السيارة...

فأجابها بحزم قائلا:

ـ لا يا سيدتي. هذا غير ممكن!

وتأوه سلفادور وتابع كلامه قائلا:

ـ يبدو لي انك لم تختبري حالة مشابهة لهذه الحالة. كنت في حرب أهلية مرة حين انفجر لغم في وجه رجل كان يرافقني. ولحسن الحظ لم أصب بأذى. أما الرجل فتشوه وجهه، حتى انه فقد هيئته لمدة أشهر. ولم يكن يطيق ان يراه أحد من الذين عرفوه قبل الحادثة. ألا تستطيعين ان تفهمي ذلك؟

فاضطربت دومينيك وقالت:

ـ أتظن ان اصابة فنسانتي في مثل هذه الخطورة؟ آه، يا الهي!

فأجابها سلفادور قائلا:

ـ لا يا سيدتي. لم أقل ذلك. كنت أحاول فقط ان أخبرك ان رجلا تشوه وجهه في حادثة ما يمكن ان يشعر بالحياء الكثير لمثل ذلك التشويه!

ـ ولكن يبدو لي انك تقف من الحادثة موقفاً فيه كثير من ضبط النفس، ولو لم أكن أعرفك وأعرف ولاءك لسيدك سانتوس، لظننت انك لا تبالي بما جرى له.

فتجهم وجه سلفادور وقال:

ـ اياك ان تقولي ذلك مرة أخرى يا سيدتي. فأنا أكثر من أي انسان آخر أصلي الى الله ان لا يكون ما أصيب به خطيراً كما نتصور. ولكن اذا كان خطيراً، فمن واجبي ان أعزيك وأساعدك على تجاوز المحنة التي قد تواجهك. ولذلك يجب ان أضبط نفسي ما استطعت، كما توفقت الى ضبط أفكاري ومشاعري الداخلية منذ سنين، وأنا لا أشعر بأني أنا نفسي الا مع السيد سانتوس... والآن معك أنت!

فأجابته دومينيك قائلة:

ـ اعتذر لك يا سلفادور على ما بدر مني نحوك من شك... والآن كم الساعة؟ والى متى ننتظر قبل ان نتلفن للمستشفى؟

ـ الساعة الآن نحو الخامسة والنصف يا سيدتي. وسأخبر موريس ان يهيء لك طعام العشاء. ثم بعد ذلك، أي في الساعة الثامنة نتلفن.

فوافقت على كلامه وقالت:

ـ أما الآن فسأذهب واستحم.

ـ خيراً تفعلين يا سيدتي.

وسارت دومينيك عبر غرفة الجلوس، ثم التفتت الى الوراء وقالت سلفادور:

ـ اخبرني يا سلفادور، ما رأيك بالمرأة التي تزوجها فنسانتي من قبل؟

ـ هذا ليس من شأني يا سيدتي!

ـ سلفادور!

ـ كانت امرأة رائعة الجمال، قوية وثرية، وأكبر من السيد سانتوس سناً.

ـ وماذا أيضاً؟

ـ كان اسمها فالنتينا كوردوفا. حدث ذلك منذ سنين طويلة، جرى خلالها الكثير من الأحداث.

ـ هل هما مطلقان؟

ـ لا، لا. السيدة سانتوس توفيت!

ـ توفيت؟

ـ نعم، يا سيدتي!

ـ كيف...

فقاطعها سلفادور قائلا:

ـ اخبرتك عن الزوجة الأخرى للسيد سانتوس. أخبرتك عن اسمها وعن انها توفيت. ولا أرغب ان أخبرك بأي شيء آخر، فاعذريني.

فتأوهت دومينيك، غير انها أدركت ضرورة الاقلاع عن متابعة هذا الحديث. فهي على الأقل علمت الآن انه لم يطلقها في محكمة. وهو أمر لم تذكره ماريون حين أخبرتها عن هذا الزواج السابق.

وصعدت السلم متجهة نحو غرفتها. وفيما هي في طريقها شعرت بثقل الخبر الذي نقله لها فريدريك ريفاس. كانت حريصة على معرفة ما حدث لفنسانتي ومتى تستطيع رؤيته، اما الآن فشق عليها ان لا تكون بجانبه تؤاسيه وتعتني بأمره متناسية جميع ما بدر منه نحوها من اساءة. وغداً، مهما اعترض سلفادور سبيلها، فستذهب الى مستشفى سانت اغسطين لتكون معه.

٩ ـ ضوء على الماضي

لم تأكل دومينيك من طعام عشائها الا قليلاً. غير انها تأثرت اشد التأثر من العواطف التي ابداها موريس وزوجته، لمناسبة الحادثة التي وقع فنسانتي ضحيتها. وفيما بعد تلفن سلفادور الى المستشفى، فاستدعى الطبيب الذي اشرف على معالجة فنسانتي. واخبر الطبيب دومينيك بما يجب عليها ان تتوقعه. وقال لها ان زوجها اصيب في جانب واحد من وجهه، وان الخطر الآن على عينه اليسرى. واضطربت دومينيك وهي تصغي الى الطبيب يصف لها مدى الضرر الذي لحق بفنسانتي، فقال:

ـ الحروق خطيرة. ولكن ليس هناك ما يمنع استبدال الجلد المحروق بجلد آخر من الجسم، وذلك بعد ان يصبح المريض قادراً على تحمّل العملية. ويمكن لجراحة التجميل، بعد مرور ستة اشهر أو سنة على

www.mlazna.com مرمورية

الأكثر، ان تعيد الوجه الى حالته الأولى.

وأصغت دومينيك الى كلام الطبيب باهتمام بالغ، ثم سألته قائلة:

- وكيف حالته الصحية؟ هل يتوجع؟

- كلا يا سيدتي. فهناك علاج يقيه الوجع. وزوجك رجل يتمتع بصحة جيدة، ولا سبب يمنع من ان يستعيد كامل عافيته فيما بعد.

وقالت له:

- متى... متى يمكنني رؤيته؟

- السيد سانتوس يفضل ان ترجئي رؤيته الى حين. ورأيي انا هو انه من الخير ان تواجهي في الحال وضعه الجديد، على الرغم من انه يأبى ذلك. فهل تريدين يا سيدة سانتوس ان تري زوجك حقاً؟

- وكيف لا؟

- اذن، تعالي. يخيل الي انه في حالة شديدة من الضيق الآن. فلعل حضورك يخفف عنه.

وترددت دومينيك متسائلة اذا كان من الواجب ان تخبر الطبيب شيئاً عن التوتر القائم في علاقتها مع زوجها، غير انها امتنعت عن ذلك. ففنسانتي لا يريد ان يذاع شيء عن شؤونه الخاصة.

وألقت السماعة، فبادرها سلفادور بالسؤال قائلاً:

- هل انت ذاهبة؟

- غداً، فهل ترافقني؟

- بكل تأكيد، ولكني ارجو ان لا تكوني على خطأ في عزمك على الذهاب.

- يجب ان اراه، مهما كلف الأمر!

وفي صباح اليوم التالي ارتدت ثيابها بعناية وسرها ان اعصابها لم تكن متوترة، وتمنت لو انها تحتفظ بمظهرها هذا في المستقبل.

وكانت الطريق الى ريو ممتعة، فهي لم تخترق تلك الجبال من قبل لتختبر المنحدرات والمرتفعات التي انستها ما سيواجهها من مصاعب فيما بعد، خصوصاً ردة فعل فنسانتي على مجيئها لرؤيته. فاذا اظهر غضبه عليها، فلا بد ان تتمنى الموت.

وصلا الى ريو قبل الظهر واتجها رأساً الى المستشفى. كان مبنى حديثاً ضخماً من الخارج، ونظيفاً ذا لون ابيض من الداخل. وفكرت دومينيك وهي تجتاز الممرات ان الموت والحياة يسيران فيها جنباً الى جنب، فارتجفت لهذا التفكير.

وكانت طاولة الاستقبال يتولاها مساعد بثياب بيضاء، فتلفن في الحال الى الطبيب طالباً الاذن لهما بمقابلة فنسانتي. فجاء الطبيب نفسه للترحيب بهما، وحين دعاها الى غرفة صغيرة امتنع سلفادور عن الدخول وآثر ان يتركها وحدها.

وعرّف الطبيب اسمه بانه مانويل فيريس وبعدما جلست دومينيك قبالته اخبرها انه اشرف على معالجة زوجها، وان الجرّاح الذي عالج حروقه والخبير الذي سيجري عملية التجميل لم ينتهيا بعد من مهمتهما، وأوكل اليه هو ان يصف لها الحالة كما هي.

واصغت دومينيك اليه وهو يشرح لها كيف ان فنسانتي يستعيد وعيه من الهزة العنيفة التي اصابته من الانفجار، ومع ان ضماداً وضع على عينه اليسرى، فان هذه بقيت مكشوفة وقد يؤلم دومينيك رؤيتها.

وقال الطبيب:

- انه في غرفة العناية الفائقة وهي مخصصة لمعالجة المرضى امثال فنسانتي.

- والى متى سيبقى في المستشفى؟

فأجابها الطبيب بحيرة:

- لا اعلم تماماً. اربعة اسابيع، وربما خمسة. ثم يعود لجراحة التجميل.

- وهل عودته ضرورية؟

- ليست ضرورية... ولكن هذا ما اعتدنا القيام به في حالة كحالته.

فتمتمت دومينيك قائلة:

- لماذا كل هذه العمليات؟ بربك يا دكتور فيريس هل بامكاني ان اراه؟

فابتسم قائلاً:

- لا ارى اي مانع. ولكن هل يعلم انك جئت لزيارته؟

- كلا. الا ان الطبيب الذي حدثني امس بالتلفون اخبرني ان من المفيد ان آتي لأراه.

- تعالي اذن لنصعد الى الغرفة حيث هو الآن. تعالي.

وبقي سلفادور في غرفة الاستقبال، فيما صعدت دومينيك مع الطبيب الى الطبقة الثالثة. وبدأ قلبها يخفق بسرعة، وشعرت بالغثيان تحت تأثير مخاوفها.

وعندما وصلا الى الطبقة الثالثة، سارا الى الغرفة التي في آخر الممر. وكانت هنالك ممرضة في مدخل الغرفة، فعرفها الطبيب الى دومينيك، فنظرت اليها نظرات لا تخلو من القلق.

وقالت لها:

- لا اعتقد ان زوجك مستعد لردة فعلك على الأضرار التي حلت به، يا سيدة سانتوس. في كل حال، فعنده زائرة.

فخفق قلب دومينيك بشدة وتساءلت هل تكون صوفيا؟ او كلوديا؟ ام امرأة اخرى لم تتعرف عليها بعد؟

وقالت الممرضة:

- الزائرة هي اخت السيد سانتوس.

- ايزابيلا؟ ولكني ظننت...

فقاطعتها الممرضة قائلة:

- يبدو ان رئيستها منحتها اذناً خاصاً لزيارة أخيها. ففيما عداك، هي النسيب الوحيد الحي للسيد سانتوس.

فاحمر وجه دومينيك. فهي لم تكن تعلم عن هذا الأمر. فقالت للممرضة:

- انا... انا...

فقاطعها الطبيب فيريس وقال:

- لا اجد مانعاً من ان تدخل السيدة سانتوس، على الرغم من ان اخته هناك.

فأجابت الممرضة قائلة:

- لا بأس... هل تريدين ان ارافقك يا سيدة سانتوس!

فانتفضت دومينيك وقالت:

- لا، لا. لا ضرورة لذلك. انما اريني الغرفة التي هو فيها.

أرتها الغرفة، واتجهت اليها دومينيك بعدما شكرت الطبيب والممرضة. وعندما وصلت، فتحت الباب بعزيمة صادقة ودخلت الى الغرفة.

وصدمت بما رأته لأول وهلة، لا للغضب الذي اظهره فنسانتي، بل لأنها خشيت ان لا تستطيع ان تمنع نفسها عن فضح عواطفها عند رؤية وجهه المشوه. ولكنها وجدت ان الشعور الوحيد الذي استولى عليها هو شعور الارتياح لبقاء زوجها على قيد الحياة. فالضرر الذي نزل به، رغم بشاعته، هو لا شيء بالقياس الى الحب العارم الذي تكنّه له وحده.

وكان فنسانتي متكئاً على المخدة وهو يرتدي قميص نوم قاتم اللون. وكانت عينه، كما اخبرها الطبيب، مضمدة، بينما كان سائر وجهه مصاباً ببقع حمراء من الحروق ولحسن الحظ بقي انفه وجبينه سالمين، بحيث لم يعد من الضرورة قص شعره من الأمام.

وما ان دخلت دومينيك الى الغرفة حتى نهضت الفتاة الجالسة بقرب السرير، وكانت دومينيك تتخيلها مجرد شخص بشري متستر بثوب اسود. غير ان اهتمامها انصب على فنسانتي الذي سرعان ما حدق اليها بعينه السليمة اليمنى. واستطاعت دومينيك ان تلمح في نظراته نحوها شعور الغضب عليها والرفض لمجيئها اليه.

وصاح بها:

- يا الهي يا دومينيك! ماذا تفعلين هنا؟ اوصيتهم ان يخبروك ان لا تأتي.

فارتعشت دومينيك وصاحت قائلة:

- فنسانتي...

وحارت في ما تقول، خوفاً من ان تفضح عواطفها الحقيقية نحوه. وحين ساد الصمت اغتنمت ايزابيلا الفرصة لتقول لفنسانتي بصوت هادىء:

- لزوجتك الحق في ان تراك... وتخفف عليك يا فنسانتي.

فأجابها قائلاً:

- دومينيك لا حق لها في ذلك بالنسبة الي...

وحملقت دومينيك فيه غير مصدقة كلامه. واقتربت ايزابيلا نحو السرير ووقفت بقربها وقالت لها:

- انا ايزابيلا سانتوس، اخت فنسانتي.

فتمالكت دومينيك نفسها وأجابت قائلة:

- نعم، نعم، اعرف ذلك... وأنا آسفة ان لا نجتمع الا في هذا الظرف المشؤوم.

فابتسمت ايزابيلا. كانت هادئة، لطيفة، وجميلة في ثوبها القاتم.

وقالت لدومينيك:

- تعالي اجلسي مكاني... فأنا ذاهبة.

فصاح فنسانتي قائلاً لها:

- لا، لا. ارجوك ان تبقي!

واستولى الارتباك على دومينيك، فتمتمت قائلة:

- ربما كان علي انا ان اذهب...

فقاطعتها ايزابيلا قائلة بحزم:

- هذا غير ممكن... اخي متضايق جداً وخجل من نفسه. فهو تحت تأثير الاعتقاد ان المظاهر هي كل شيء.

فقال لها فنسانتي بصوت متعب:

- بربك يا ايزابيلا! الا ترين انها خائفة حتى الموت لتهرب مرة اخرى؟ انا لا الومها، لأني اعتقد ان وجهي يحمل اي انسان على الشعور بالغثيان!

فصاحت دومينيك:

- هذا ليس صحيحاً. هل تعتقد حقاً انني ابالي بمظهرك الخارجي؟ ان كان يسرني شيء فهو انك على قيد الحياة.

فأجابها فنسانتي:

- يصعب علي تصديق كلامك. فلو قضي علي في الانفجار لسهلت عليك الأمور...

فصاحت به دومينيك:

- آه... كيف يمكنك ان تقول هذا الكلام؟

ورمقت ايزابيلا اخاها بنظرة عاتبة وقالت:

- كفاك يا فنسانتي! الا تدرك ان دومينيك لم تعد تستطيع ان تتحمل؟ كانت الحادثة هزة عنيفة لها...

فقاطعها فنسانتي صارخاً وهو يدفن رأسه في المخدة:

- اخرجا معاً من هنا... انني متعب!

ونظرت دومينيك الى ايزابيلا، فأشارت اليها بما يعني ان عليهما ان تفعلا كما امر.

وفي خارج الغرفة استسلمت دومينيك للبكاء الشديد، فأقبل الطبيب فيريس نحوها وقد ظهر عليه الانزعاج، وقال لها:

- هل آلمك منظره الى هذا الحد؟

- كلا، لم يكن منظره هو الذي آلمني... بل شيء آخر لا استطيع شرحه لك الآن... فاعذرني!

وأسرعت الخطى في الممر، فلحقتها ايزابيلا ووضعت ذراعها حول خصرها وهما تدخلان المصعد معاً.

وكان سلفادور ينتظر. فلما شاهد ايزابيلا حيّاها بحرارة وانحنى على يدها. فتحدثت اليه بالبرازيلية على عجل، فلم تفهم دومينيك حديثهما. ثم خرجوا جميعاً خارج المستشفى الى حيث وقفت السيارة التي يقودها سلفادور، وبعد ان صعدتا اليها قالت ايزابيلا:

- سنذهب الى فندق اعرفه هنا في ريو. وعندما نصل الى هناك سنتحدث ونرى ماذا يمكننا فعله في ضوء هذه الظروف القاسية.

فوافقت دومينيك واستندت الى ظهر المقعد وهي تشعر بعياء شديد. وفي كل ما تخيلته عما ستكون عليه ردة فعل فنسانتي، فانها لم تتخيل انه سيرفضها رفضاً قاطعاً. ورأت ان رفضه هذا لم يكن سببه مظهره المشوه، بل عدم رغبته في رؤيتها.

ووقفت السيارة امام فندق ماريا مجدلينا فحاولت دومينيك ان تنسى الذكريات التي اثارها فيها ذلك الفندق. فمنذ ثلاثة اسابيع فقط وصلت الى البرازيل وكلها مرح وسرور. والآن ها هي تعاني من الآلام ما جعل تلك المدة تبدو وكأنها سنوات مديدة.

وكانت ايزابيلا حجزت شقة في الفندق لقضاء فترة بعد الظهر، فصعدتا اليها. اما سلفادور فذهب الى المدينة لقضاء حاجة خاصة به.

كان الطقس حاراً، ومعظم الناس في القيلولة. غير ان دومينيك لم تشعر

بالتعب، رغم الصداع الذي كان يتابها، وانما تاقت الى الاختلاء بنفسها لتجميع افكارها ومشاعرها.

ويبدو ان ايزابيلا احست برغبتها هذه، فاقترحت عليها ان تشغل احدى الغرف، ريثما تطلب بعض الطعام. وأصرت دومينيك على انها لا تشتهي ان تأكل شيئاً، ولكن حين حملت اليها ايزابيلا طعاماً خفيفاً مع القهوة، انفتحت شهيتها قليلاً، فأكلت وشربت القهوة وأحست بنشاط يمكنها من مجابهة ما سيأتي.

وظهر على ايزابيلا انها تميل الى الكلام، فجلست على حافة السرير وقالت لدومينيك:

- ماذا جرى بينك وبين فنسانتي؟ ولماذا هو ناقم على عروسه التي لم يمض على زواجه بها ثلاثة ايام؟

فأجابتها دومينيك قائلة:

- الم يخبرك؟

- كلا. لم يخبرني بشيء. فلو كان اخبرني لما سألتك. . . انا احب اخي، ولا اريد ان اراه تعيساً.

- تعيساً؟ هو ليس تعيساً على ما بدا لي، وانما يكرهني!

فبادرتها ايزابيلا الى القول بحزم:

- لا اظن ذلك. انا اعرف اخي اكثر مما تعرفينه. هنالك شيء ما يقلقه ويزعجه ويدفعه الى التأمل والتفكير. . . فهل لك ان تخبريني ماذا حدث له؟

فتأوهت دومينيك وتساءلت كيف تسرد لها خلافها مع فنسانتي؟ وهل بامكانها ان تخبرها بأن الأمر يتعلق بعلاقتها بجان هاردنغ؟

واستجمعت قواها وأجابتها قائلة:

- لم يخبرني عندما تزوجني انه تزوج سابقاً بامرأة اخرى.

- ولكن متى يا دومينيك تعرفت الى اخي؟

علا الاحمرار وجهها وأجابت قائلة:

- منذ مدة وجيزة.

- اذن، كان زواجكما نتيجة نزوة عابرة!

- يمكنك ان تعتبريه كذلك.

- اذن لم تسنح لك الفرصة للتعرف اليه جيداً، ولا من حيث طباعه فقط، بل من حيث ماضيه وتجاربه الخاصة في الحياة ايضاً.

- هذا صحيح!

- وعن ماضيه. . . ماذا تعرفين حتى الآن؟

فحدقت اليها دومينيك وقالت:

- اكاد لا اعرف شيئاً. ويصعب علي شرح ذلك وتفسيره. . . وربما كنت في نظرك فتاة حمقاء اذا قلت لك ان الكلام لم يكن شيئاً مهماً في علاقتنا، وخصوصاً في الأيام الأولى. اما فيما بعد، فلم يكن لدينا متسع من الوقت للكلام. كل ما اعرفه عن فنسانتي هو ما اخبرني به سلفادور. فهل لك انت ان تخبريني عنه؟ كيف اصبح ما هو عليه الآن؟ فحين وصلت الى هذه البلاد، كان يظهر الاستياء كلما اشرت الى البؤس والشقاء والفقر الذي يرزح تحته قسم من الشعب. وذكر لي انه لم يختبر ذلك النوع من العيش، فلم افهمه ولا هو حاول ان يفهمني. . .

نهضت ايزابيلا واتجهت نحو النافذة وتطلعت الى الخارج. ثم التفتت الى دومينيك وابتسمت وقالت لها:

- سأخبرك القليل. . . سأخبرك ما اعتقد ان عليك ان تعرفيه.

فقالت دومينيك بلهفة:

- نعم، شكراً.

- ابدأ بالقول ان فنسانتي وأنا لسنا ولدين وحيدين، فلنا اخوة واخوات، ولكننا لا نعرفهم!

فحملقت فيها دومينيك وسألتها قائلة بدهشة:

- وكيف يكون ذلك؟

- كان والدانا فقيرين جداً. وكان لهما، على ما اظن، تسعة اولاد، فلم يستطيعا اعالتهم جميعاً، فانتشروا في الشوارع كأولئك الأولاد الذين رأيتهم في احياء الفقراء. . .

وصمتت ايزابيلا قليلاً، ثم تابعت كلامها وسط دهشة دومينيك واضطرابها، فقالت:

www.mlazna.com مرمورية

- انت لا تعلمين ما هي عليه حال الفقراء. صدقيني اذا قلت ان الانسان، ما لم يختبر ذلك النوع من الحياة، لا يقدر ان يفهم المهانة القصوى التي يشعر بها من ليس عنده حذاء أو ثياب، أو حتى مشط يسرح به شعره. كنا نحن على شيء من الهزال وثيابنا رثة بالية، وكنت انا وفنسانتي نعيش معاً. هو يكبرني سناً بعدة سنوات، وكان اكثر مني حكمة وتعقلاً. وفي احد الأيام جاء رجل ثري جداً الى حينا الفقير، لأن والدي كان يعمل في احدى شركاته، فسرق بعض المال. وهدد الرجل والدي باستدعاء البوليس، فتضرع اليه ان يغفر له ويرحم عائلته الكبيرة التي كان عليه ان يعيلها. فاذا ذهب الى السجن، فستموت عائلته هذه من الجوع.

وظهرت المرارة في كلام ايزابيلا، فأدركت دومينيك ان الأب لم يكن صادقاً كل الصدق في تقدير قيمته بالنسبة الى سائر افراد العائلة.

وتابعت ايزابيلا حديثها قائلة:

- وعلى كل حال، كان الرجل عطوفاً رقيق القلب، فنظر الى والدي وابتسم. كانت ابتسامته مشرقة جميلة، فبادلها فنسانتي بابتسامة مشابهة. اما انا فاستولى علي الذعر، فاختبأت وراء فنسانتي. وأقبل الرجل نحو فنسانتي وسأل والدي عنه، فأجابه انه ولده الأكبر. ولم يكن ذلك صحيحاً، غير ان والدي اعتقد ان ذلك قد يزيد في استدرار عطف الرجل عليه. ولم نكن نعلم ماذا كانت نية الرجل، الا اننا عرفنا فيما بعد انه كان يدعى سانتوس، وله امرأة عاقر، وانه كان يرغب في ان يتبنى فنسانتي. فقبل والدي على ان يتقاضى لقاء ذلك مبلغاً من المال. ولسوء الحظ رفض فنسانتي ان يذهب مع الرجل الا اذا ذهبت انا معه. اقول لسوء الحظ، لأنني فيما بعد سببت لفنسانتي كثيراً من المتاعب.

وبدأت دومينيك تتفهم واقع الحال، فسألتها قائلة:

- وكم كان عمر فنسانتي آنذاك؟

- كان في الحادية عشرة، وكنت انا في الثالثة. وحدث ذلك منذ نحو عشرين سنة.

- وهل رأيتما والديكما بعد ذلك؟

- كلا، لأنهما انتقلا من مكان سكناهما. وأغلب الظن انهما توفيا.

- الا تشعران بعاطفة نحوهما؟ وعلى الأقل نحو والدتكما؟

- كانت والدتي اداة طيعة في يد والدي. وكان لديها كثير من الأولاد، فسرها ان تتخلص من اثنين منهم.

- هذا شيء فظيع!

- هذه هي الحياة يا دومينيك!

- اذن لهذا السبب يشعر فنسانتي بمثل تلك المرارة...

- الى حد ما.

فقالت لها دومينيك:

- والآن، ماذا عن زوجته الأولى؟

- فالنتينا؟

- نعم. هل كان يحبها؟

فهزت ايزابيلا رأسها قائلة:

- هذه ايضاً مسألة اخرى. كانت فالنتينا كوردوفا تملك عدة شركات ورثتها عن ابيها، وكانت تدير شركاتها بقسوة وعنف، حتى قيل عنها انها امرأة لا قلب لها. وكانت تطمح الى الاستيلاء على شركة سانتوس لو لم يطلب والدي الجديد من فنسانتي ان يتدخل في الأمر. وكان فنسانتي في الثانية والعشرين من عمره في ذلك الوقت، بينما كانت فالنتينا في الثالثة والثلاثين على الأقل. واستطاع فنسانتي، بما له من مقدرة على الاغراء كما عرفته، ان يحملها على الزواج منه لانقاذ الشركة.

- لهذا السبب تزوجها؟

- نعم. وسر ذلك والدي، لأن هذا ما كان يريده. ورأى فنسانتي ان ذلك اقل ما يمكن ان يكافئه به على صنيعه نحوه ونحوي.

فترددت دومينيك قليلاً قبل ان تقول:

- هذا لا يصدق... وهل كان الزواج ناجحاً؟

- كانت فالنتينا سعيدة به. ومن المشكوك فيه ان فنسانتي كان يشاركها هذه السعادة! واظن انه بهذه الخبرة رأى كيف يستغل الانسان انساناً آخر.

- ولكنه كان هو ايضاً يستغل فالنتينا.

- كان يستغلها بالنيابة عن والدي فقط. وكان والدي يشكو من ضعف

صحته، فألح على فنسانتي ان يفعل ذلك. ونزل فنسانتي عند الحاحه اعترافاً بجميله عليه.

اطفأت دومينيك سيكارتها في المنفضة وتساءلت في نفسها قائلة اذا كان فنسانتي تزوج مرة لأجل المال، أفلا يتزوج مرة اخرى لأجل الانتقام؟

وقالت لايزابيلا:

ـ كيف توفيت فالنتينا؟

ـ كانت في طريقها لزيارة عمها وعمتها في نيواورليتز فسقطت بها الطائرة.

ـ يا الهي! كم كان ذلك لصالح فنسانتي!

فأجابتها ايزابيلا بشيء من الدهاء:

ـ اتظنين ذلك؟ ان بينك وبين فنسانتي من الخلاف اكثر مما كان بينه وبين زوجته الأولى... حاولي ان تفهمي يا دومينيك ان حياة فنسانتي لم تكن سهلة أو غير معقدة، بخلاف ما كانت عليه حياتك ربما... كان هناك اولاً حياتنا في حي الفقراء، ثم حياتنا مع سانتوس وزوجته اللذين كانا بالفعل والدينا اكثر من والدينا الحقيقيين. وعلاقة فنسانتي بزوجته الأولى كان لها تعقيداتها ايضاً. ثم الى دوري انا، حين وقعت في غرام احد الرجال... غير ان ذلك لا يهمك على ما اعتقد. وكم كان حزن فنسانتي شديداً عندما دخلت الدير، رغم اصراره الشديد على ان لا افعل.

وعضت دومينيك على شفتها وتمنت لو انها تسأل ايزابيلا عن علاقتها بذلك الرجل، او لو ان ايزابيلا تسألها عن سبب مجيئها الى البرازيل، اذن لاكتشفت علاقتها بجان هاردنغ واضطرت الى الحديث عن هذه العلاقة.

وفقد الحديث زخمه، اذ غرقتا في تأملاتهما الخاصة. وآثرت دومينيك العودة الى بيلا فيستا غداً، بعدما تحاول مرة اخرى زيارة المستشفى. وأخبرت ايزابيلا بما يجول في خاطرها، فقالت لها:

ـ فكرة جيدة. وأظن ان فنسانتي سينتقل الى مستشفى بيلافيستا بعد انتهاء عملية التجميل.

فقطبت دومينيك حاجبيها وقالت:

ـ هل هذا ممكن؟

ـ لماذا لا؟ ثم بعد حين يمكنه ايضاً الانتقال الى ميناتيرا، شرط ان يجد ممرضة تعتني بأمره...

ولم يرق لدومينيك ان تأتي امرأة اخرى الى القصر للعناية به والتدخل في شؤونه الخاصة. غير انها لم تجد سبباً معقولاً تستند اليه لرفض هذا التدبير.

وقالت لايزابيلا:

ـ وأنت ماذا ستفعلين؟

ـ انا؟ لا اعلم. الدير بعيد عن ريو دي جانيرو، ويستحيل علي ان اراه مرة ثانية اذا عدت الى هناك وخصوصاً اذا انتقل الى بيلافيستا.

ـ اذن، لماذا لا تأتين لتقيمي في ميناتيرا؟

وفي المساء، حين ذهبت ايزابيلا لزيارة فنسانتي، سألت دومينيك سلفادور ان يأخذها في نزهة بالسيارة، فخرجا خارج المدينة الى احد الأمكنة المطلة على الخليج. كانت الأنوار تشع من الزوارق التي تمخر عباب البحر، فشعرت دومينيك بالارتياح وقالت لسلفادور:

ـ هل ذهبت لزيارة فنسانتي بعد ظهر اليوم؟

فابتسم قائلاً:

ـ نعم يا سيدتي.

ـ وهل ذكرني لك؟ ام غضب عليك لأنك رافقتني الى هنا؟

ـ نعم، غضب علي لا عليك. انت لا تحاولين فهم السيد سانتوس. فلو كان هو السيد هاردنغ كيف كنت تعاملينه؟ هل كان يخامرك الشك في كل حركة يقوم بها؟ وهل تتهمينه بالخداع استناداً الى شائعات سمعتها من نساء اشتهرن بالثرثرة والنميمة؟ ايحق لك ان تعذبيه بعصيان كل ما يأمرك به؟

ـ انا لا افهم ما تقول يا سلفادور...

ـ نعم، تفهمين... اخبريني كيف كنت تعاملين جان هاردنغ؟

ـ جان غير فنسانتي... فهو يجعلك تثق به.

ـ اتظنين ذلك يا سيدتي؟ حتى بعد ان علمت انه حاول عن عمد ان يغري الآنسة ايزابيلا، ثم نجح في تحطيم قلبها؟

فحدقت اليه قائلة:

ـ هل انت متأكد من ذلك؟

- نعم يا سيدتي. انا شاهد على ما اقول. ايزابيلا فتاة بريئة طيبة القلب، ولكن هاردنغ لم يراع ذلك كله، بل اراد ان يلهو بها، لا اكثر ولا أقل. فجمالها الذي يمتاز بالسمرة، بخلاف النساء الانكليزيات، جذبه وأغواه. آه يا سيدتي! لم يكن رجلاً مخلصاً لها وصادقاً في علاقته معها، فتركها عندما علقت به.

- لا اصدق كلامك يا سلفادور. كنا خطيبين وجئت لأتزوج به.

- ولماذا رفضت المجيء معه الى هنا؟ الم تطلبي تطويل مدة خطوبتك؟

- وكيف تعرف ذلك!

- لأن السيد هاردنغ رجل ثرثار يا سيدتي. كان بائساً وحيداً قبل ان يتعرف الى ايزابيلا سانتوس. وظل يحوم حولها الى ان اوقعها في حبائله. وكان هنالك حديث بفسخ خطوبته لك، ولكنه عندما اضطر الى وضع النقاط على الحروف تهرب ورجع عن وعده، مما حطم قلب الآنسة سانتوس ودفعها الى دخول الدير.

فدهشت دومينيك لهذه المعلومات واعترفت، بينها وبين نفسها، ان لسلفادور الحق بأن يغضب ويتكلم عن جان بمثل هذه المرارة.

وقالت له:

- ولكن ذلك لا يغير شيئاً من الحقيقة، وهو ان فنسانتي يكرهني!

فأدار سلفادور محرك السيارة وقال لها بغموض:

- انه يحاول جهده ان يفعل ذلك يا سيدتي!

١٠- مضى وقت الهرب...

في صباح اليوم التالي استيقظت دومينيك على صوت ضجيج السيارات في الشارع العام. فنهضت من فراشها واتجهت نحو النافذة وتطلعت الى سماء المدينة، فاذا كل شيء يدل على ان النهار سيكون معتدلاً صافياً. ودخلت الى الحمام واغتسلت بسرعة، ثم لبست ثوباً أزرق اللون، لم يكن لديها سواه. ذلك انها لم تكن تنتظر ان تطيل الاقامة في ريو.

وخرجت من الغرفة واجتازت غرفة الاستقبال بهدوء، لئلا تزعج ايزابيلا، وهي في طريقها الى المصعد. فنزلت به الى الطبقة السفلى، ومنها الى الخارج.

كان النسيم عليلاً، مع شيء من البرودة، فسارت على مهل على المفترق حيث وجدت تاكسي أقلّتها الى مستشفى سانت أغسطين.

وحين وصلت الى هناك وجدته يغص بالزائرين والزائرات، فسمح لها بالصعود الى الطبقة الثالثة حيث تقع غرفة فنسانتي. ولم تكن الممرضة التي استقبلتها في الزيارة الاولى هناك، بل كان محلها ممرضة اخرى تدعى الأخت مورينو. فدهشت هذه حين أخبرتها دومينيك انها زوجة السيد سانتوس، فقالت لها:

- ولكن السيد سانتوس لم يستيقظ تماماً بعد، ونحن لا نوقظ مرضانا قبل الساعة السابعة والنصف.

فاجابتها دومينيك بفروغ صبر:

- انا زوجته أيتها الأخت مورينو. وانت توافقين معي ان الوقت أقل اهمية من ذلك. واسمحي لي ان أسألك عن صحته اليوم.

فأجابتها الأخت مورينو بهدوء:

- انه يتقدم نحو العافية. ولن يمضي وقت طويل حتى تجرى له عملية التجميل.

- وهل سيتم ذلك بنجاح؟

- لماذا لا؟ بعد التجميل ستبقى آثار الحروق، ولكنها تزول كلها فيما بعد.

- وهل تسمحين لي بان أراه؟

- نعم، اذا اصررت على ذلك، مع انه خارج نطاق القانون.

فشكرتها دومينيك وودعتها لتدخل الغرفة التي يحتلها فنسانتي. فنقرت على الباب وانتظرت جوابه ثم دخلت. فحدق اليها فنسانتي غير مصدق ما تراه عيناه وقال:

- لماذا جئت؟ وأين ايزابيلا؟

- في الفندق، وهي نائمة. كيف حالك اليوم؟

فأجابها ببرودة:

- بخير أكثر مما كان متوقعاً.

اقتربت دومينيك من السرير وقالت:

- اخبرني... ماذا حدث في المصفاة؟ وكيف وقع الانفجار؟

- هذا ما سأحاول معرفته حين اخرج من هذا المكان. هل أخبروك الى

متى سأبقى هنا؟

- كلا. غير ان ايزابيلا تتوقع ان ينقلوك الى مستشفى بيلافيستا، بعد اجراء عملية التجميل.

- ولكن متى يتم ذلك؟

واخذ ينظر الى غطاء الفراش، كأن دومينيك لم تكن تعني شيئاً بالنسبة اليه.

فاجابت دومينيك قائلة:

- ربما شهر أو ستة أسابيع...

ثم اقتربت كثيراً حتى وقفت بجانبه وتابعت سائلة:

- لماذا؟

- لأن هنالك أموراً يجب ان أقوم بها.

وحدق اليها قليلاً، فرفّت جفونها لرؤية حروقه. غير انها لم تشعر بالتقزز، لأنه كان الرجل الذي تحب.

وكان فنسانتي لم يدرك بحدسه ما كان يختلج في داخلها، فقال:

- لماذا جئت؟ ألم يكفك انك زرتني البارحة؟

- البارحة لم تتحدث الي، وانا بحاجة الى التحدث اليك. ايزابيلا اخبرتني عن فالنتينا.

فتجهم وجهه قليلاً وقال:

- صحيح؟ وهل اخبرتك أيضاً عن هاردنغ؟

- كلا. فهي لا تعرف اني اعرف جان.

- لم أفطن الى ذلك... أرى أن من الأفضل أن لا تذكري اسمه لها. وعلى كل حال، فانت آخر شخص تريد ان تلتقيه!

- لم اكن انوي ان اذكر اسمه لها، فجان له شؤونه الخاصة به، وهي لا تعنيني في شيء.

- أصحيح هذا؟ ألا تتمنين لو انك تزوجته؟ فهو على الأقل يملك من الفطنة ما يجعله ان لا...

وتوقف عن الكلام فجأة، فتساءلت دومينيك ماذا أراد ان يقول.

وبعد قليل من الصمت، خاطبته قائلة:

- انا تزوجتك لأني أحببتك.

- هل اصدقك؟ ولماذا تستعملين الفعل الماضي؟

- كفى... لا تحاول ايقاعي... وانت لماذا تزوجتني؟ هذا سؤال اكثر من سؤالك تعقيداً، أليس كذلك؟

فحملق فيها فنسانتي ورأسه ملقى على المخدة وقال:

- لن تعرفي لماذا تزوجتك، لأني لا أنوي ان اخبرك. هذا امر يجب عليك ان تكتشفيه بنفسك... اما الآن فاخرجي. لا اريد ان اراك مرة أخرى!

فصاحت به:

- كفاك يا فنسانتي! انت لم تشعر بالغيرة في حياتك، والا لما كنت تتصرف معي مثل هذا التصرف.

فاجابها بغيظ:

- أتريدين ان تقولي انك تشعرين بالغيرة؟

- نعم، نعم... هذا ما اريد ان أقوله.

فابتسم بسخرية وقال:

- يا الهي! كيف تقلبين الأمور! ليس هنالك على الاطلاق أي سبب لشعورك بالغيرة.

- ادرك ذلك الآن... اما من قبل، فحتى في يوم عرسنا حاولت ان تثير غيرتي...

فظهر الجد على وجهه وهو يقول:

- ذلك شيء آخر... كنت أريدك آنذاك!

- والآن... ألا تريدني؟

- ليس كما اردتك من قبل!

فحدقت اليه دومينيك غير مصدقة انه يمكن ان يكون تغيّر الى هذا الحد. ومع ذلك كان على وجهه امارات القساوة والمرارة. فاستدارت وهي تشهق بالبكاء واتجهت نحو الباب، ففتحته وخرجت مسرعة في الممر، غير مبالية بنظرات الآخرين. وسمعت صوتاً يناديها، وعندما التفتت ولمحت فنسانتي واقفاً في باب غرفته يراقبها، اسرعت خطاها نحو المصعد، فدخلته

واغلقت الباب. وحين صعدت الى التاكسي سمحت للدموع الحارة بأن تسيل على خديها لتخفف عنها عبء شقائها.

كانت ايزابيلا تتناول طعام الفطور حين عادت دومينيك الى الفندق. وحين رأت عيني دومينيك المحمرتين من الدموع، امتنعت عن ان تسألها اين كانت. ولكنه كان في وسعها ان تحزر. فأخبرت دومينيك بأنها اتصلت برئيسة الدير، فسمحت لها بالعودة الى مينا تيرا لقضاء فترة قصيرة من الزمن.

وقالت:

- انا متأكدة من صواب ما عزمت عليه. وفي امكاني ان اطلب من سلفادور ان يعيدني بالسيارة الى ريو لزيارة فنسانتي الى ان يأتي الوقت الذي ينقل فيه الى مستشفى بيلافيستا. وسأستخبر عن ذلك هذا الصباح.

فأظهرت دومينيك سرورها بابتسامة باهتة، ثم استأذنت وذهبت لتغتسل وتصلح من أمرها.

وبعدئذ، في ذلك النهار، قامت ايزابيلا بزيارة فنسانتي مرة اخرى، ثم عادت مع دومينيك الى بيلافيستا. وكانت دومينيك غارقة طول الطريق في افكارها وتأملاتها، وكذلك ايزابيلا.

وهكذا دخلت دومينيك في أتعس شهر في حياتها. وبعد عشرة أيام نقل فنسانتي الى مستشفى بيلافيستا، كما توقعت ايزابيلا، وبدأ يستعيد عافيته سريعاً. وكانت ايزابيلا تقوم بزيارته كل يوم، واما دومينيك فلم تفعل، مما أثر فيها كثيراً وزاد في شقائها. غير انها كانت تستخبر من ايزابيلا عن حالته الصحية وتتلفن لطبيب المستشفى، بين حين وآخر، وتسأل عن مدى التقدم الذي كان يحرزه نحو العافية.

واذا كان المستخدمون في المستشفى دهشوا لأنها لم تقم بزيارة زوجها، فلأنهم عزوا ذلك الى انها تشمئز من منظر القباحة. ومع ان ذلك ازعجها، الا انها لم تقلع عن عنادها وتزور فنسانتي، مخافة ان تلقى منه المهانة والاساءة.

وكانت في بعض الأحيان تتمنى لو كان ينهي علاقته معها، فيطلقها لأي سبب شاء. غير انها ادركت انه لو فعل ذلك، فلن تعود كما كانت من قبل.

www.mlazna.com مرموريـة

فالحياة مع فنسانتي قد تكون محفوفة بالمصاعب والمتاعب، الا ان الحياة من دونه لا تستحق ان تعاش.

وفي غضون الاسبوع الثالث لوجود فنسانتي في المستشفى، جاء فريدريك ريفاس لزيارة دومينيك وكانت ايزابيلا هناك في ذلك الوقت، فاستقبلته دومينيك بترحاب. وسرها مجيء شخص جديد تتحدث اليه، لأنها لم تكن تغادر المنزل الى المدينة، مخافة ان تسمع الشائعات التي كانت منتشرة هناك.

وسألها فريدريك قائلاً:

ـ كيف حالك؟ أراك فقدت شيئاً من وزنك يا دومينيك... فهل أثرت فيك الحادثة الى هذا الحد؟

فابتسمت دومينيك وقالت:

ـ أنا بخير شكراً. نعم أثرت فيّ الحادثة كثيراً، ولكن فنسانتي ولله الحمد سيستعيد عافيته قريباً.

ـ هكذا قيل لي. ورأيته البارحة، ولذلك جئت لزيارتك.

فاضطربت دومينيك وقالت:

ـ على الرحب والسعة.

قالت ذلك وقرعت الجرس لاستدعاء سلفادور، فلما حضر طلبت منه ان يأتي بالقهوة لها وللسيد ريفاس، ثم قالت:

ـ ارجوك ان تتابع حديثك يا سيد ريفاس.

ـ لماذا لم تذهبي الى زيارة زوجك منذ ان انتقل الى بيلافيستا؟

فعضت على شفتها واجابت قائلة:

ـ وأية فائدة ترجى من ذهابي الى زيارته؟ فهو لا يريد ان يراني.

ـ انت لست جادة في كلامك.

ـ هذا غير صحيح. والآن ارجوك ان لا نسترسل في هذا الحديث... فانه يزعجني كثيراً.

ـ انا لا استطيع أن افهم موقفك هذا. انت على خطأ، لأن فنسانتي يريد ان يراك ويتحدث اليك.

فاجابت دومينيك قائلة:

ـ انا لا اصدق ذلك...

وهنا دخل سلفادور بالقهوة فطلبت منه ان يضعها على الطاولة، ففعل وغادر الغرفة.

وقال ريفاس لدومينيك:

ـ هل انت متأكدة من ذلك يا دومينيك؟

ـ أنا متأكدة. وعلى كل حال، فهذا أمر خاص، ولا أريد ان اتحدث عنه...

ـ ومهما يكن، ففنسانتي يريد ان يراك. كنت هناك حين سأل ايزابيلا لماذا لم تجلبك معها.

فنهضت دومينيك على قدميها وقالت:

ـ اعذرني، لا أريد ان استعجل ذهابك... ولكن الأمر مفروغ منه. أنا لا أنوي أن اقوم بزيارة زوجي!

ففوجيء ريفاس بتصرفها هذا، غير انه غض النظر عن متابعة الموضوع وراح يتأملها ملياً. وادركت دومينيك ذلك. فهو لم يعد يصدقها اكثر مما هي تصدقه. واذا كان فنسانتي تظاهر بانه يريد ان يراها ليدخل في الاذهان ان الأمور على ما يرام فيما بينهما، فهذا شأنه وهي لا تشارك فيه، لا من قريب ولا من بعيد... نعم، لن تذهب الى المستشفى وتتظاهر انها زوجته الأمينة المحبة، لا لشيء الا لطمأنة بال اصدقائه.

ومع ذلك، فبعد ذهاب ريفاس عجبت لماذا لم تذكر لها ايزابيلا اي شيء عن هذا الموضوع. فهي تعلم ولا شك لماذا لا تذهب لزيارة فنسانتي، واذا كان فنسانتي اعرب عن رغبته في ان تأتي الى زيارته فلماذا لم تخبرها؟ ألعلها تعتقد ان من الظلم اخبارها بشيء لم يكن في الحقيقة صادقاً وصحيحاً؟

وفي غضون الأيام الثلاثة التالية تلقّت عدة مكالمات تلفونية من مساعدي فنسانتي في المصفاة، وكلها تسأل عن صحته. وظنت دومينيك ان ريفاس يقوم بحيلة كهذه، لعلها تخجل من نفسها فتذهب الى زيارة زوجها.

وبعد ذلك ببضعة ايام استقبلت دومينيك زائراً آخر، حين كانت ايزابيلا ترتاح في غرفتها. كان هذا الزائر جان هاردنغ دون سواه. ولم

تصدق دومينيك عينيها حين رأته ينزل من سيارته أمام المنزل ويجتاز غرفة الاستقبال مقبلاً اليها وهي جالسة على الشرفة. ولم تستطع الا ان تبتسم لرؤيته، فهو فوق كل شيء، مواطن كان لها سابقاً علاقة حميمة معه.

فحياها ببشاشة قائلاً:

- يسرني ان اراك مرة اخرى.

- وانا أيضاً يا جان، وماذا جاء بك الى هنا؟

فاقترب جان الى جانبها وقال:

- ألا تريدين ان اجلس معك قليلاً؟ أنا أعلم ان زوجك غائب.

فترددت دومينيك شعوراً منها انها تطعن ظهر زوجها ان هي رحبت بجان في غيابه. ولكنها تذكرت وجود ايزابيلا، فاجابته بالايجاب.

وكان سلفادور على الشرفة، فحدق الى جان بازدراء وقال لدومينيك:

- لا اعتقد ان السيد...

ولكن دومينيك اسكتته بنظرة صارمة قائلة:

- ارجوك يا سلفادور... قدم للسيد هاردنغ كأساً من عصير الليمون المثلج!

وبعد ان خرج سلفادور قال لها جان بتهكم، وهو يجلس على مقعد قبالتها:

- من هذا؟ هل هو حارسك الأمين؟ أريد ان اتحدث اليك.

- وأنا أيضاً أريد ان اتحدث اليك.

- صحيح؟ وعن ماذا تريدين ان تتحدثي؟

فأجابته دومينيك بصراحة:

- عن ايزابيلا سانتوس... لا تنكر انه كان لك علاقة معها!

ففوجيء جان بذلك وقال:

- لا انكر يا دومينيك تلك العلاقة.

- وماذا كان نوعها؟

- اسمعي. جئت الى هنا لأراك لا لتعاتبيني على شيء مضى واصبح في ذمة التاريخ.

- قد يكون مضى بالنسبة اليك، لا بالنسبة الي. لماذا جئت اليوم بالذات

ولم تجيء من قبل؟

- ماذا تعنين؟

- أعني ان مجيئك اليوم دون سائر الايام الماضية يثير التساؤل عن مغزاه.

- سأخبرك لماذا جئت اليوم. البارحة سمعت ريفاس يقول لمساعديه في المكتب ان دومينيك سانتوس لا تزور زوجها في المستشفى. سمعت هذا الكلام عرضاً، اذ كنت على مقربة من هناك، على غير علم منه.

فصعد الاحمرار الى وجنتي دومينيك، بينما تابع جان قائلاً:

- حتى ذلك الحين لم اكن اعلم بوجود خلاف بينك وبين زوجك... ويسرني الآن اني علمت به...

- لماذا؟

- لأن ذلك يبرهن على صواب ما تخوفت منه منذ البداية. أُخذت بسحر الرجل، فلم تدركي انه كان يلهو بك. وكان علي ان اعرف...

فقاطعته قائلة وهي تنهض واقفة على قدميها:

- انت لا تعرف شيئاً! كيف تجرؤ ان تأتي الى هنا وتتدخل في شؤوني الخاصة؟ حين فسخت خطوبتي لم ارتكب اي خطأ يا جان. الآن فقط بدأت ادرك ما يمكن ان اكون جلبته على نفسي. كنت تكتب الي؟ كنت تخبرني كم انت مشتاق الي؟ نعم، ولكنك كنت تطيل تلك المدة لتقيم علاقة مع ايزابيلا سانتوس!

- لم تكن علاقة غرام!

قال ذلك ووقف على قدميه غاضباً.

وهنا سأله صوت هادىء جاء من ورائهما:

- اذن، ماذا كانت يا جان؟

فالتفتت دومينيك الى مصدر الصوت، فاذا بها ترى ايزابيلا واقفة هناك تراقبهما.

فتمتمت دومينيك قائلة لها:

- ايزابيلا! آسفة كل الأسف انك سمعت هذا الحديث!

اقتربت ايزابيلا نحوهما وقالت:

ـ لا تأسفي . . . فانا مسرورة بذلك، لأنني علمت الآن الكثير. هل كنت خطيبة جان هاردنغ اذن؟ تلك الفتاة التي كان يراسلها في لندن؟

فاجابت دومينيك قائلة:

ـ نعم، وجئت الى هنا للزواج به. ولكني التقيت فنسانتي وجرى ما جرى. . .

فقال جان بخشونة:

ـ انه انتزعك مني عن عمد. . .

وتطلع الى ايزابيلا قائلاً:

ـ عندما انتهيت منك توقعت ان اطرد من الشركة. ولكن اخاك العزيز كان يخطط لأمر ادهى وأمرّ ينتقم به مني. لم يكن يكفيه ان يطردني، بل اراد ان يحطم حياتي، ان يأخذ مني الفتاة التي احببتها حباً صادقاً من كل قلبي.

وبذلت دومينيك جهدها ان تضبط اعصابها لتستطيع ان تواجه التحدي الذي امامها.

وقالت ايزابيلا لجان:

ـ انت في الحقيقة لا تعتقد ان اخي يذهب الى حد الزواج بامرأة لا يحبها. قد يأخذها منك ليلهو بها انتقاماً، لا اكثر ولا أقل. قد يفعل ذلك، ولكنه لن يتزوجها، بل يعيدها بعدئذ اليك لتتزوجها انت.

اصغت دومينيك الى هذا الكلام، غير انها لم تستطع ان تستوعبه لانشغال ذهنها في الحالة البائسة التي وجدت نفسها فيها. كل ما استوعبته هو قول جان ان فنسانتي تزوجها للانتقام منه.

وفي هذه الاثناء توقفت سيارة في مدخل القصر، ثم سمع وقع خطوات في الممر وصوت سلفادور يحيي القادم. وأقبل فنسانتي من باب غرفة الاستقبال ودخل الشرفة بقامته المديدة المفتولة العضلات، وعلى وجهه آثار الحروق. فحدقت اليه دومينيك باستغراب، ثم حملقت في ايزابيلا وجان وهي مشدوهة ذاهلة.

وكسرت ايزابيلا الصمت المخيف بقولها:

ـ ارى انهم سمحوا لك بالمجيء يا فنسانتي!

وتقدم فنسانتي الى الأمام قليلاً. وبدا انه استعاد عافيته تماماً. ونظر الى

دومينيك ثم الى جان وقال له ببرودة:

ـ لماذا جئت الى هنا يا هاردنغ؟ ألا يمكنك ان تترك زوجتي وشأنها؟

فهز جان كتفيه قائلاً:

ـ جئت لأخبرها اني لا أزال أحبها. . . والآن بعد ان انتهيت منها، فاني عازم ان استرجعها منك. . . ولم اعلم انك ستحضر، والا كنت اخترت وقتاً آخر. . .

فسأله فنسانتي قائلاً:

ـ من أخبرك انني لا أريد زوجتي؟

ـ لم يخبرني أحد. فالأمر واضح، أليس كذلك؟ فهي لم تركض وراءك الى المستشفى، وهذا يثير الاعجاب. فالوقت حان لأن يتولى احد مهمة خلع سانتوس الجبار عن عرشه، كما فعلت انا حين طرحتك ارضاً، حيث تستحق ان تكون. . .

فاجابه فنسانتي بهدوء:

ـ بيني وبينك حساب لم ننته منه بعد. . . ولكن هناك في المصفاة!

فاحمر وجه جان وصاح قائلاً:

ـ ماذا تعني بكلامك هذا؟

ـ انت تعلم جيداً ما اعني. . . والآن هيا بنا!

فانهارت عزيمة جان فجأة، ولكنه وضع يديه في جيبي سرواله وقال:

ـ ما تريد ان تقوله يمكنك ان تقوله هنا!

ـ هنا؟ انا افضل ان اخوض معركتي في منأى عن عيون الناس.

وظن جان ان موقف فنسانتي هذا دليل على الجبن، فقال:

ـ لماذا؟ ألأنك تخاف من ان يصيبك مني ما اصابك في المرة الماضية؟

فأجاب فنسانتي بهدوء اعصاب:

ـ لا تغتر بنفسك يا هاردنغ. هل تعتقد انني لا استطيع ان ادافع عن نفسي اذا شئت؟ انت ضخم الجثة وقوي، ولكنك بليد الذهن ومعتوه. أتظن ان دومينيك كانت تتصرف كما تصرفت لو رددت لك الكيل كيلين؟ فلو ضربتك وأفقدتك الوعي، ماذا تتصور انها كانت تفعل؟ اما كانت

تشفق عليك... عليك انت لا علي انا؟ هذا شيء لا استطيع ان أغامر به.

فثارت ثائرة جان وصاح به:

- لماذا؟ انت...

وهجم على فنسانتي بقبضتيه المشدودتين، غير عابىء بأن خصمه خرج لتوه من المستشفى. واستفاقت دومينيك من ذهولها وقفزت في محاولة للوقوف بينهما، غير ان جان دفعها وأصر على الانتقام.

كان جان قوي البنية، ولكنه لم يكن له مهارة فنسانتي وسرعة تحركه في الملاكمة. فما ان همّ جان بتسديد ضربته اليه، حتى صدّها فنسانتي بيده اليسرى وضربه باليمنى ضربة قوية على كتفه جعلته يهتز ويوشك ان يفقد توازنه. ثم ناوله ضربة اخرى على بطنه أجبرته على الانحناء، فسدد اليه ضربة اخرى على رقبته فوقع على الارض دونما حراك.

وحدقت اليه دومينيك بصمت، ثم تطلعت الى وجه فنسانتي، فلمحت عليه امارات الارتياح، بل السرور.

فارتجفت وشعرت فجأة انها لم تعد تحتمل، كأنه لم يكفها تلك الاسابيع الطويلة من الانتظار والتوتر في علاقتها مع فنسانتي.

هزت رأسها وسارت الى غرفة الاستقبال، وهي لا تدري لأول وهلة ماذا تفعل. ولم يكن الا بعد ان شاهدت السيارتين واقفتين عند المدخل حتى ادركت كيف تخرج من ذلك المأزق.

كان عليها ان تهرب. وسيلة الهرب متاحة لها فاذا استطاعت الوصول الى ريو، فهناك السفارة البريطانية. وفيما الفكرة تتبلور في ذهنها، اسرعت الخطى نحو السيارتين وصعدت الى سيارة فنسانتي وادارت المحرك باصابع مرتجفة وهمت بالانطلاق وسمعت صراخاً وهتافاً، ثم رأت يدي فنسانتي تمسكان باب السيارة. وفتح فنسانتي الباب وانتزع المفتاح من مكانه قبل ان تتمكن من منعه.

وصاح بها:

- أيام الهرب مضت يا دومينيك.

قال ذلك وحملها بين ذراعيه وهي تقاوم بكل قواها. ورأت ايزابيلا

مقبلة نحوهما. وادركت انها غلبت على أمرها وعليها ان تقبل غضب فنسانتي عليها وتوبيخه لها.

ولما وصلت ايزابيلا اليهما صاحت بغيظ شديد:

- هل فقدت صوابك يا فنسانتي؟ اما كفاك انك صارعت رجلاً، والآن تحاول ان تحمل دومينيك؟ هل جننت؟ هذا سيؤدي بك الى الرجوع الى المستشفى للمعالجة من شدة الارهاق... اعذرني يا فنسانتي، ولكن عليك ان تخبر دومينيك بكل ما فعله هاردنغ.

دفع فنسانتي ايزابيلا جانباً وقال:

- تريدينني ان اخون مواطناً لها؟ كلا. يكفي اني أديت ما علي لهاردنغ!

وتبعته ايزابيلا الى بهو المنزل، حيث كان سلفادور واقفاً، فقال له فنسانتي:

- ارجوك ان تحمل ذلك الرجل من الشرفة، ولا ابالي اذا اخذته الى بيلافيستا. فالمهم عندي ان يخلي هذا المنزل في الحال.

اجابه سلفادور قائلاً بسرور ظاهر:

- نعم، يا سيدي.

وقالت ايزابيلا لفنسانتي:

- دعني ارافق سلفادور... فعلي مهمة أريد ان اقوم بها في بيلافيستا.

وصاحت دومينيك:

- لا، لا.

ولكن فنسانتي كان صعد السلم واتجه نحو غرفة النوم واغلق الباب.

وفيما هو يوقفها على قدميها وسط الغرفة، قالت له:

- لا اعلم ماذا تنوي ان تفعل يا فنسانتي، ولكني تحملت حتى الآن ما لم اعد أطيق!

- وماذا عني أنا؟ كدت افقد عقلي من القلق واللهفة. بربك يا دومينيك، لماذا لم تعودي الى زيارتي في المستشفى؟ لماذا لم تردي على مكالماتي لك بالتلفون؟

- بالتلفون؟ لا علم لي بذلك.

- كيف لا؟ فبعد أن زرتني في ريو على ذلك النحو من الغضب، تلفنت

www.mlazna.com مـرمـوريـة

لك مراراً. ولكن سلفادور كان يجيبني انك لست في البيت، او انك لا تريدين ان تكلميني!

- وهل سألت ايزابيلا عني أيضاً؟

- نعم، وكيف لا؟

وخطر لدومينيك ان شيئاً ما كان يدبر لها. وقالت لفنسانتي:

- قد لا تكون وصلتني مكالماتك، ولكن لماذا اردت ان تراني بعد ان صارحتني بعدم رغبتك في رؤية وجهي مرة اخرى؟

وحدق اليها فنسانتي ملياً، ثم طوقها بذراعيه وشدها اليه وقال:

- انني احاول ان اخبرك بطريقة ما اني احبك. انا اعرف ان من الصعب معايشتي، واعرف اني اسأت معاملتك دون قصد مني. لم اكن اريد ان ازيدك... ان احتاج اليك. وماريون على حق حين زعمت انني عزمت في البداية ان انتزعك من هاردنغ، لا اكثر ولا أقل... فهل تغفرين لي؟

فحدقت اليه دومينيك وقالت:

- ولكن الغضب كان يملأ قلبك...

فقاطعها قائلاً:

- نعم، نعم. ألا تفهمين غضبي أيضاً؟

وشدها اليه بقوة، فشعرت دومينيك بالضعف يسري في مفاصلها تاقت اليه.

وراح فنسانتي يعانقها وهي تتمتم قائلة:

- اخبرني كل شيء الآن!

فاجابها قائلاً:

- حين التقيتك في المطار، جذبني جمالك الفاتن. وعندما وقعت في البركة اكتشفت اني في الحقيقة مغرم بك من كل قلبي. غير اني لم اشأ ان اصارحك بذلك لاعتقادي انك اخذت بروعة القصر لا بي.

- لا صحة في ذلك اطلاقاً.

- نعم، ولكني ادركت فيما بعد ان هنالك شيئاً يدعى الحب. ولم أعرف ذلك من قبل. وعندما تحدّيتني بدأت اكرهك. صدقيني يا دومينيك، كنت مستعداً ان اقتلك لأنك كدت تحطمين الايمان الذي بدأت أجده.

- ولماذا لم تصارحني بحقيقة مشاعرك؟

- انها كبريائي يا دومينيك. ولم استطع ان اتحمل تصديقك كلام تلك المرأة، لا كلامي. فعزمت على الاساءة اليك، غير اني نجحت في الاساءة الى نفسي.

- ولماذا غيرت رأيك؟

فتأوه فنسانتي وأجاب قائلاً:

- في ذلك اليوم الذي هربت فيه من المستشفى في ريو، ادركت تمام الادراك اني بالفعل اسأت اليك. واردت ان اركض وراءك لاعتذر اليك، ولكنني لم استطع. ومنذ ذلك الحين لم تسنح لي الفرصة للاعتذار، ولا لمصارحتك باني مغرم بك الى أقصى حد.

فتمتمت في اذنه قائلة:

- آه يا فنسانتي!

وبعد صمت قالت له وهي تداعب شعر رأسه:

- هل لجان علاقة بالانفجار الذي حدث في المصفاة؟

- لا اعلم.

- انت لا تقول الحقيقة.

- الآن مضى كل شي، شرط ان تطيقي العيش مع آثار هذه الحروق التي في وجهي!

- وكيف لا؟ هل تشك في ذلك؟

وبعد قليل قال لها:

- نقلت هاردنغ الى فرع الشركة في ريو!

- ولماذا لم تطرده من الشركة؟

- لا استطيع ان اكون فظاً مع رجل عرّفني الى أهم امرأة في حياتي.